حياة

سعد بن أبي وقاص

محمود شلبي

حياة سعد بن أبي وقاص

بطل القادسية

دار الجيل
بيروت - لبنان

الطبعة الاولى

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

الإهداء

اللهم ... منك ... وإليك

محمود شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمدك اللهم ..

وأصلي وأسلّم .. على نبيك العظيم .

وبعد ..

ليس بطلاً واحداً .. ولكن أبطالاً ..

وليس رجلاً واحداً .. ولكن رجالاً ..

نعم .. كل فرد من أصحاب رسول اللهِ .. صلى الله عليه وسلم ..
لم يكن بطلاً واحداً .. ولكن كان أبطالاً ..

ولم يكن رجلاً واحداً .. ولكن رجالاً ..

كان الرجل منهم أمّة ..

لو وُزن إيمانه .. وإيمان أمّة .. لرجح إيمانه إيمان تلك الأمّة ..

قول هذا نقوله .. لا عن عصبية عمياء .. أو فخر اهوج ..

ولكن عن دراسة مستفيضة .. وبحث عميق .. وتحليل إثر تحليل ..

تتامل الصحابيّ .. وتظنه في البداية مجرد إنسان ككل إنسان ..

ولكن ما أن تغوص في اعماق شخصيته .. حتى تجد نفسك حائراً في بحار أنواره !!

فتسأل : ما هو سرّ عظمة أصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ؟!

هل السرّ أنهم آمنوا به .. ولكن ما اكثر مَن آمن به .. صلى الله عليه وسلم .. من بعده .. فلماذا لم يرقوا رقيهم .. ويرتفعوا ارتفاعهم ؟!

هل السر أنهم شاهدوه .. ونعموا بصحبته .. ولكن هؤلاء أهل مكة قد شاهدوه .. فآذوه .. واضطهدوه .. وألجاوه إلى الخروج من بينهم إلى المدينة ؟!

هل السرّ انهم نصروه بأموالهم وانفسهم .. ولكن هناك الكثير من بعدهم نصروه بأموالهم وانفسهم .. فلمـــاذا لم يبلغ هؤلاء المستأخرون ما بلغ هؤلاء المستقدمون ؟!

مـــا السرّ إذن ؟!

السرّ أنّ محمـداً .. صلى الله عليـه وسلم .. هو نفسه السرّ !!

فما هو ذلك السرّ .. أيها الباحثون عن السرّ ؟!

السرّ هو هذا .. هو قوله عزّ ثناؤه :

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ..

﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ .. ﴾ !!

مُحَمَّدٌ ؟!!

مَن مُحَمَّد ؟!!

استأثر بسرّه ... ربُّه تبارك وتعالى !!

هو وحده .. يعلم سرّ محمد .. صلى الله عليه وسلم !!

إذاً ماذا بقِيَ لنـا جميعاً معشر البشر .. لنعلمه عن محمد .. صلى الله عليه وسلم ؟!

بقِيَ لنا الآتي ؟

﴿ رَسُولُ اللهِ ﴾ !!

هذه اقصى ما يمكن ان نعلمه من شخصية محمد .. صلى الله عليه وسلم ..

أنه « رسولُ اللهِ » .. وهذه تكفينا وزيادة ..

وليتنا نبلغ منها منتهاها !!

هذا الذي لا يعلم سرّه الشريف .. إلا الله ..

ما مسّ نوره المقدّس قلباً من القلوب المؤمنة به .. إلا وتشعشعت من ذلك القلب الأنوار ذات اليمين وذات الشمال !!

فتجد الصحابيّ من أصحابه .. إماماً في الدنيا .. وإماماً في الدين ..

نوراً في الدنيا .. ونوراً في الدين ..

ذلك أنه قَبَس من نوره .. صلى الله عليه وسلم .. الشريف رأساً ..

فتبدّلت شخصية الصحابي بمجرد إيمانه به .. صلى الله عليه وسلم .. من شخص طبيعي يعيش ضائعاً مع الضائعين ..

إلى قمة عالية شامخة .. تتقطّع اعناق الرجــال .. ان يبلغوا ما بلغ !

انظر .. ابو بكر .. عمر .. عثمان .. عليّ .. سعد بن ابي وقاص .. ابو عبيدة بن الجرّاح .. خــــالد بن الوليد .. وغيرهم كثير ..

كل فرد منهم امة وحده ..

له مقامه الذي ينفرد به ..

وكلهم حوله .. يحيطون به .. صلى الله عليه وسلم ..

يتبعونه في كل ما آمر ..

ويحبونه اكثر من حُبّهم لأنفسهم ..

وأحسن وصف يوصفون به هو قوله سبحانه :

﴿ والذينَ معَهُ ﴾ !!

تلك المعيـة هي التي رفعتهم .. وبَدّلتهم .. ونصّبتْهم اعلى المناصب في الدنيا والآخرة ..

فهُم بمعيتهم لرسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

صاروا مُلوكاً في الدنيا .. يسوسون شعوبها سوْقاً جميلاً إلى ربهم ..

وصاروا مُلوكاً في الآخرة ..

فهُم ملوك الدنيا .. وهُم ملوك الآخرة ..

نالوا ذلك كله .. لانهم كانوا من :

« **الذينَ مَعَهُ** » !!

وكان من اكابر .. هؤلاء

« **الذينَ مَعَهُ** » !!

رجل فَذّ .. اسمُه ؟

« **سَعْدُ بنُ أبي وَقّاص** » ..

وها هي حياته .. وشخصيته .. تحت عينيك ..

١٤٠٩ هـ
١٩٨٩ م

محمود شلبي

ذلكم ...

سعد ...

ابن أبي وقاص ؟!

فداك أبي وامي ؟!

« عن عليّ قال :

« ما رايت رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. جمع ابويه لاحد .. غير سعد بن مالك ..

« فانه قال له يوم أحُد :

« ارمِ سعد .. فداك ابي وامّي .. »

[اخرجه ابن ماجه]

ارمِ سعد ؟!

« عن سعيد بن المسيب قال :

« سمعت سعد بن ابي وقاص يقول :

« لقد جمع لي رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. يوم أحُد ابويه .. فقال :

« ارمِ سعد .. فداك ابي وامّي .. »

[اخرجه ابن ماجه]

اوّل مَن رمى بسهم في سبيل الله ؟!

* عن قيس قال :

« سمعت سعد بن ابي وقّاص يقول :

« إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله .. »

[اخرجه ابن ماجه]

(قيـــل انه كان في أول سرية في الاسلام .. في ستين من المهاجرين اميرهم عبيدة بن الحرث .. عقد له النبي .. صلى الله تعالى عليه وسلم لواء .. وهو أول لواء عقد لقتـــال أبي سفيان ابن حرب والمشركين .. فلم يقع بينهم قتـال .. غـير أن سعداً رمى اليهم بسهمه ، فكان أول سهم ..) !!

ثلث الاسلام ؟!

« سمعت سعيد بن المسيب يقول :

« قال سعد بن أبي وقّاص :

« **ما اسلم أحد في اليوم الذي اسلمت فيه ..**

« **ولقد مكثت سبعة ايام وانّي لثُلُث الاسلام .. »**

[اخرجه ابن ماجه]

المراد ثُلث الرجال الأحرار ..

احد العشرة المبشرين بالجنّة ؟

« سمع سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يقول :

« كان رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. عاشر عشرة فقـــال :

« ابو بكر في الجنّة ..

« وعمر في الجنّة ..

« وعثمان في الجنّة ..

« وعليّ في الجنّة ..

« وطلحة في الجنّة ..

« والزبير في الجنّة ..

« وسعد في الجنّة ..

« وعبد الرحمن في الجنّة ..

« فقيل له : من التاسع ؟

« قال : انا .. »

[اخرجه ابن ماجه]

المذكور تسعة .. فكأنه أراد المصنف بفضائل العشرة فضائل غـالبهم ..

اثبت .. حراء ؟!

« عن سعيد بن زيد قال :

« أشهد على رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. اني سمعته يقول :

« اثبت حراء ..

« فما عليك إلا نبيّ أو صدّيق أو شهيد ..

« وعدهم رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

« ابو بكر .. وعمر .. وعثمان .. وعليّ .. وطلحة .. والزبير .. وسعد .. وابن عوف .. وسعيد بن زيد .. »

[اخرجه ابن ماجه]

واستشكل بسعد لأنه غير مقتول .. فقد ذكر انه مات في قصره بالعقيق .. قريباً من المدينة ، ودفن بالبقيع ..

او المراد بالشهيد من له ثواب الشهداء !!

جئتُ أحرُسكَ ؟!

« عن عائشَةَ قالَتْ :

« أرقَ رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم .. ذاتَ ليْلةٍ فقـــالَ :

« ليْتَ رَجُلاً صالحا مِنْ أصحابي يحرُسُني الليْلةَ ..

« قالتْ : وسَمِعْنا صَوْتَ السّلاحِ ..

« فقالَ رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم : مَنْ هذا ؟

« قالَ : سَعْدُ بنُ أبي وقّاصٍ .. يا رسولَ اللهِ .. جِئْتُ أحرُسُكَ ..

« قالتْ عائشةُ : فنامَ رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم .. حتى سَمِعْتُ غَطيطَهُ .. »

[اخرجه مسلم]

فدعا له رسولُ اللهِ ..
صلى الله عليه وسلم ؟!

« أنَّ عائشةَ قالتْ :

« سَهِرَ رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم .. مَقْدَمَهُ المدينةَ ليْلةً ..

« فقالَ : ليْتَ رجُلاً صالِحاً مِنْ أصحابي يَحرُسُني الليْلةَ ..

« قالتْ : فبَيْنَما نحْنُ كذلِكَ سمِعْنا خَشخَشةَ سِلاحٍ ..

« فقالَ : مَنْ هذَا ؟

« قال : سعْدُ بنُ أبي وقّاصٍ ..

« فقالَ لهُ رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم : ما جَاء بِكَ ؟.

« قالَ : وَقعَ في نفْسِي خَوْفٌ على رسولِ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم .. فجِئتُ أحرُسُهُ ..

« فدَعَا لهُ رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم ..

« ثمَّ نامَ ..

« وفي رواية ابنِ رُمْحٍ : فقُلنَا : مَن هذا ؟ . »

(قال العلماء : كان هذا الحديث قبل نزول قوله تعـالى ،

﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ ..

(لأنه صلى الله عليه وسلم ترك الاحتراس حين نزلت هذه الآية .. وأمر أصحـــابه بالانصراف عن حراسته .. وقد صرح في الرواية الثانية ، بأن هذا كان في أول قدومه المدينـــة ، ومعلوم أن الآية نزلت بعد ذلك بأزمان ..)

سعد بنُ مالِك ؟!

« سَمِعْتُ عَلِيًّا يقولُ :

« ما جَمَعَ رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم .. أَبَوَيهِ لأحَدٍ غيرَ سَعْدِ بنِ مالِكٍ ..

« فإنّهُ جَعَلَ يقولُ لهُ يَوْمَ أُحُدٍ ..

« ارْمِ فِدَاكَ ابي وأُمّي .. »

★

« عَنْ سَعْدِ بن أبي وقّاصٍ قالَ :

« لقَدْ جمعَ لي رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم .. أبوَيه يوْمَ أحُدٍ . »

[اخرجهما مسلم]

علام بمحبته له ومنزلته ..

واما قوله ، ما جمع أبويه لغير سعد .. وذكر بعد أنه جمعهما للزبير ، وقد جاء جمعهما لغيرهما أيضاً .

فيحمل قول عليّ رضي الله عنه .. على نفي علم نفسه .. اي لا اعلمه جمعهما إلا لسعد بن أبي وقاص ..

وهو سعد بن مالك ..

وفيه فضيلة الرمي ، والحث عليه ..

والدعاء لمن فعل خيراً .)

فضحكَ رسولُ اللهِ ..

صلى الله عليه وسلم ؟!

« عن عامِرِ بنِ سعدٍ ..

« عنْ أبيهِ ..

« انَّ النبيَّ .. صلى الله عليه وسلم .. جَمَعَ لهُ ابَوَيهِ يوْمَ أحُدٍ قالَ :

« كانَ رجُلٌ منَ المشركينَ قدْ احرَقَ المسلمينَ ..

« فقالَ لهُ النبيُّ .. صلى الله عليه وسلم : ارْمِ فِداكَ ابي وأمّي ..

« قالَ : فنزَعتُ له بسَهمٍ ليْسَ فيهِ نصْلٌ .. فأصَبْتهُ جَنْبَهُ .. فسَقطَ فانكشَفَتْ عَوْرَتُهُ ..

« فضَحِكَ رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم ..

« حتى نظَرْتُ إلى نواجِذِهِ .. »

[أخرجه مسلم]

(قد احرق المسلمين) أي اثخن فيهم وعمل فيهم نحو عمـل النـــار ..

(نزعت له بسهم) اي رميته بسهم ..

(فاصبت جنبه) هكذا هو في معظم النسخ ، وفي بعضهـــا (حَبَّتَه) اي حبّة قلبه ..

(فضحك) اي فرحاً بقتله عدوه ، لا لانكشافه ..

(نواجذه) اي انيـابه او اضراسه ..)

عندما حلفت أم سعد ..
ان لا تكلمه ابدأ ؟

« حدثني مصعب بن سعد .. عن أبيه

« أنه نزلت فيه آيات من القرآن .. قال :

« حلفت أم سعد .. أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه .. ولا تاكل ولا تشرب ..

« قالت : زعمت ان الله وصاك بوالديك وأنا أمك .. وأنا آمرك بهذا ..

« قال : مكثت ثلاثا حتى غشي عليها من الجهد ..

« فقام ابن لها يقال له عمارة ، فسقاها ..

« فجعلت تدعو على سعد ..

« فانزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية :

﴿ وَوَصَّيْنَا الانسانَ بِوَالِدَيهِ حُسْنًا وإن جَاهَدَاكَ لتُشْرِكَ بِي ﴾ ..

وفيها :

﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنيَا مَعرُوفا ﴾ ..

« قالَ : وأصابَ رسولُ الله .. صلى الله عليه وسلم .. غَنيمَةً عظيمَةً ، فإذا فيها سَيفٌ فأَخذُتهُ ..

« فأتيتُ بهِ الرَّسولَ .. صلى الله عليه وسلم ..

« فقُلْتُ : نَفِّلْني هذا السيْفَ ، فأنا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ حالَهُ ..

« فقالَ : رُدَّهُ مِنْ حيثُ أَخذْتَهُ ..

« فانطَلَقْتُ حتى إذا أرَدْتُ أنْ أُلقِيَهُ في القَبْضِ لامَتْني نفْسي ..

« فرَجعْتُ اليْهِ فقُلتُ : أعطِنيهِ ..

« قالَ : فشَدَّ لي صَوْتَهُ : رُدَّهُ مِنْ حيْثُ أخذْتَهُ ..

« قالَ : فانزَلَ اللهُ عزَّ وَجلَّ

﴿ يَسألونَكَ عَنِ الأنفَالِ ﴾ ..

« قالَ : وَمرضْتُ فارَسلْتُ إلى النبيِّ .. صلى الله عليه وسلم ..

« فاتاني .. فقُلْتُ : دَعني أقسِمْ مـالِي حيْثُ شِئتُ ..

« قالَ : فأبى ..

« قلتُ : فالنِّصْفَ ؟

« قالَ : فأبى ..

« قلتُ : فالثّلُثَ ؟

« قـالَ : فسَكَتَ ..

« فكانَ بعدُ الثلثُ جائزاً ..

« قال : وأتَيْتُ على نَفَرٍ مِنَ الأنصَار والمهاجرينَ ، فقالوا : تعالَ نُطعِمْكَ ونسقِيكَ خمْراً – وذلِكَ قَبْـلَ أنْ تُحَرَّمَ الخمْرُ ..

« قالَ : فأتَيتُهمْ في حَشٍ – والحَشُّ البسْتانُ – فإذا رأسُ جَزُورٍ مَشْوِيٌّ عِندَهمْ وزقٌّ مِن خمْرٍ ..

« قالَ : فأكلتُ وشَربتُ معهمْ ..

« قالَ : فذكرْتُ الأنصارَ والُمهاجرينَ عِنـدَهمْ ..

« فقُلْتُ : المهاجرُونَ خيرٌ مِنَ الانصارِ ..

« قالَ : فأخذَ رجلٌ أحدَ لحيي الرأسِ فضربني بهِ .. فجرحَ بأنفي ..

« فأتيتُ رسولَ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم .. فأخبرتُهُ ..

« فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ فِيَّ - يعني نفسَهُ - شأنَ الخمرِ

﴿ إنما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ مِنْ عملِ الشيطانِ .. ﴾

[اخرجه مسلم]

(اردت ان القيه في القبض) الموضع الذي يجمع فيه الغنائم ..

اطرُدْ هؤُلاءِ ؟

« عن سعدٍ :

« فيَّ نزَلَتْ

﴿ ولا تطرُدِ الذينَ يَدْعُونَ ربَّهُم بالغَداةِ والعَشِيِّ ﴾ ..

« قالَ : نزَلَتْ في ستَّةٍ ..

« أنَا .. وابنُ مَسعُودٍ منهمْ ..

« وكانَ المشركونَ قالُوا له : تُدْنِي هؤلاءِ ؟! »

★

« عنْ سَعدٍ قـــالَ :

« كُنَّا معَ النبيِّ .. ﷺ .. ستَّةَ نفَرٍ ..

« فقالَ المشرِكونَ للنبيِّ .. ﷺ : اطرُدْ هؤُلاءِ .. لا يَجترئون

عليْنا ..

• قالَ : وكُنتُ أنَا .. وابنُ مَسعودٍ ، ورجُلٌ مِنْ هُذيلٍ ، وبلالٌ ، ورجلانِ لست أسمِّيهما ..

• فوقَعَ في نَفْسِ رسول اللهِ .. ﷺ .. مَا شاءَ الله أنْ يَقَعَ ..

• فَحَدَّثَ نَفسَهُ ..

• فانزَلَ اللهُ عزّ وجلّ

﴿ وَلا تَطرُدِ الذينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بالغَدَاةِ والعَشِيّ يُريدُونَ وَجهَهُ ﴾ ..

[اخرجها مسلم]

بطل عند الشدائد ؟

« عَنْ أبي عُثمانَ قالَ :

« لم يَبقَ معَ رسولِ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم ..

« في بعض تِلكَ الأيامِ التي قاتلَ فِيهنّ رسولُ اللهِ .. صلى الله عليهِ وسلم ..

« غيرُ طَلحةَ ..

« وسَعْدٍ ..

« عَنْ حديثِهما .. »

[اخرجه مسلم]

(عن حديثهما) معناه وهما حدثاني بذلك .

اسكنْ حِراءُ ؟

• عن أبي هُرَيرَةَ ، أنَّ رسول اللهِ .. ﷺ ، كان على جَبَلِ حِراءٍ ، فَتحَرَّكَ ..

• فقالَ رسولُ اللهِ ، ﷺ :

• اسْكُنْ حِراءُ ..

• فما عليكَ إلاَّ نبيٌّ .. أوْ صِدِّيقٌ .. او شهيدٌ ..

• وعليهِ النبيُّ .. صلى الله عليه وسلم ..

• وأبو بكرٍ ..

• وعُمَرُ ..

• وعُثمانُ ..

• وعَليٌّ ..

• وطَلحَـةُ ..

• والزُّبَيرُ ..

« وسعدُ بنُ أبي وَقّاصٍ ..
« رَضِيَ اللهُ عنهُم .. »

[أخرجه مسلم]

وسعدٌ في الجنة ؟

« عن عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ قالَ :

« قال رسول الله ، ﷺ :

« أبو بكرٍ في الجنّةِ ..

« وعُمَرُ في الجنّةِ ..

« وعثمانُ في الجنّةِ ..

« وعليٌّ في الجنّةِ ..

« وطلحةُ في الجنّةِ ..

« والزُّبيرُ في الجنّةِ ..

« وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ في الجنّةِ ..

« وسعدٌ في الجنّةِ ..

« وسعيدٌ في الجنّةِ ..

« وأبو عُبَيْدَةَ بنُ الجرّاحِ في الجنّةِ .. »

[أخرجه الترمذي]

وَسعدُ بنُ وَقاصٍ ؟

« انَّ سَعيدَ بنَ زَيدٍ حدَّثهُ في نَفرٍ ..

« انّ رسول الله .. ﷺ .. قال :

« **عَشَرَةٌ في الجنّةِ ..**

« **ابو بكرٍ في الجنّةِ ..**

« **وعُمَرُ في الجنّةِ ..**

« **وعُثمانُ .. وعليٌّ .. والزُّبَيرُ .. وطلحَةُ .. وعبدُ الرحمنِ .. وابو عُبَيدَةَ .. وسَعدُ بنُ وَقّاصٍ ..**

« قالَ : فعدّ هؤلاءِ التّسْعَةَ ، وسَكَتَ عن العاشرِ ..

« فقالَ القَوْمُ : ننشدُكَ اللهَ يا ابا الأعورِ ، من العاشرُ ؟

« قالَ : نَشدْتموني باللهِ .. ابو الأعورِ في الجنّةِ . »

« قالَ ابو عيسى : ابو الأعورِ هو سَعيدُ بنُ زَيدِ بن عمرو ابنِ نوْفَلٍ .

[اخرجه الترمذي]

اللهمّ استجبْ لِسعد ؟

« عَنْ سَعدٍ انَّ رسولَ اللهِ ، ﷺ .. قـــالَ :

« اللّهُمّ استَجِبْ لِسَعدٍ إذا دَعاكَ . »

★

« عن قيسٍ انّ النبيّ ، ﷺ .. قالَ :

« اللّهُمّ استَجِبْ لِسَعدٍ إذا دَعاكَ . »

[اخرجهما الترمذي]

هَذَا خالي ؟

« عَنْ جابِر بن عَبدِ اللهِ قالَ :

« أقبَلَ سَعدٌ ..

« فقالَ النبيُّ .. صلى الله عليه وسلم :

« هَذَا خالي ..

« فليرني امرُؤٌ خالهُ .. »

*

« قالَ : وكانَ سعدُ بن ابي وَقّاصٍ من بني زُهرَةَ .. وكانت أُمُّ النبيِّ ، صلى الله عليه وسلم .. من بني زُهرَةَ ، فلذلك قال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : هذا خالي . »

ارْمِ ايها الغلامُ الحزَوَّرُ ؟!

« قالَ عليٌّ :

« ما جمَعَ رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم .. أباهُ وأمّه لأحَدٍ إلا لِسَعدٍ ..

« قالَ لهُ يَوْمَ أحُدٍ : ارْمِ فِداكَ ابي وأمّي ..

« وقال لهُ : ارْمِ ايهَا الغُلامُ الحَزَوَّرُ .. »

[اخرجه الترمذي]

---

(١) الحزوّر : الذي قارب البلوغ .

اشهدُ على التسعةِ انهمْ في الجنةِ ؟!

« عَنْ سَعيدِ بنِ زَيدِ بن عَمرِو بن نُفَيْلٍ .. انهُ قالَ :

« اشهَدُ على التسْعَةِ أنهمْ في الجَنةِ ، ولَوْ شهدْتُ على العَاشِر لمْ آثَمْ ..

« قِيلَ : وكيْفَ ذلكَ ..

« قالَ : كُنّا معَ رسولِ اللهِ ، صلى الله عليه وسلم .. بحِراءَ فقالَ :

« اثبُتْ حِرَاءُ ، فإنهُ ليسَ عليكَ إلاَّ نبيٌّ أوْ صِدّيقٌ او شَهيدٌ ..

« قيلَ : ومَنْ هُمْ ..

« قالَ : رسولُ اللهِ ، ﷺ ..

« وابو بكرٍ .. وعُمَرُ .. وعُثمانُ .. وعَليٌّ .. وطَلحَةُ .. والزُبَيرُ .. وسَعدٌ .. وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ ..

« قِيلَ : فمَنِ العاشِرُ ؟.

« قالَ : انا . »

*

« قال ابو عيسى : هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ ، وقَدْ رُوِيَ مِن غيرِ وجه .. عن سعيدِ بنِ زَيدٍ .. عن النبيِّ .. صلى الله عليه وسلم . »

[اخرجه الترمذي]

لعلَّ اللهَ انْ يرفعكَ ..
ويَنفعَ بكَ ناساً ؟!

« عَنْ عامرِ بن سَعدٍ ..

« عن ابيهِ ، رضيَ اللهُ عنه ، قال :

« مَرضتُ ..

« فَعَادَني النبيُّ ، ﷺ ..

« فقُلتُ : يا رسول اللهِ .. ادْعُ الله ان لا يرُدَّني على عَقِبي ..

« قال : لعَلَّ اللهَ انْ يَرْفعَك ..

« ويَنفَعَ بكَ ناساً ..

« قُلتُ : اريدُ ان أوصِي .. وإنما لي ابنةٌ ..

« قُلتُ : أوصِي بالنّصفِ ؟

« قالَ : النّصفُ كثيرٌ ..

« قُلتُ : فالثُلثُ ؟

« قالَ : الثُلُثُ .. والثُلُثُ كثيرٌ ..

« أوْ : كبيرٌ ..

« قالَ : فأوصى الناسُ بالثُلُثِ .. وجَازَ ذلكَ لهُمْ . »

[اخرجه البخـــاري]

(ان لا يردني على عقبي » اي لا يميتني في الدار التي هاجرت منها وهي مكة ..

(لعل الله ان يرفعك) اي يقيمك من مرضك .. وكلمة لعل للايجاب في حق الله تعالى ..

(قال : واوصى الناس) إلى آخره من كلام سعد ظاهراً .. ويحتمل ان يكون من قول من دونه .

*

« عن ابن عبّاسٍ ، رضي الله عنهما :

« قال : لوْ غضّ النّاسُ الى الرُبُعِ ..

« لأنَّ رسولَ الله .. صلى الله وعليه وسلم .. قالَ : الثُّلُث والثُّلُثُ كثيرٌ .. او كبيرٌ » .

[اخرجه البخاري]

(لو غَضَّ) لو نقصوا ..

(إلى الربع) في الوصيـة ..

(واعلم ان الاجماع قائم على ان الوصية بالثلث جـائزة ..

(وقام الاجماع من الفقهاء انه لا يجوز لأحد ان يوصي بأكثر من الثلث ، إلا ابا حنيفة واصحابه ..)

★

اقول .. اخترنا لك تلك الأحاديث ، ووضعناها امام عينيك .

لتتكون منهـا خطوط عريضة من شخصية سعد بن ابي وقّـاص ..

حتى إذا دَخلتَ إلى حياته .. كانت عندك فكرة عن الصحابي الجليـل ..

والان .. هَلُمَّ إلى حياة سَعد ، وما ادراك ما سَعد ؟!!

صاحب ..

رسول ..

اللّه ؟!

متى وُلِدَ ؟

كان مولد سَعْد في مكة المكرمة .. قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة ..

متى اسلم ؟

أسلم وهو في السابعة عشرة ، وكان احد ثمـــانية سبقوا إلى الاسلام ..

قال سعد :

« ما اسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه ..

« ولقد مكثت سبعة أيام واني لثالث الاسلام . »

قصة اسلامه ؟

قال ابن هشام :

« ثم أسلم أبو بكر ..

« فاسلم بدعائه ، عثمان بن عفان ..

« والزبير بن العوام ..

« وعبد الرحمن بن عوف ..

« وسعد بن ابي وقاص ..

« وطلحة بن عبيد الله ..

« فجاء بهم إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. حين استجابوا له ، فـأسلموا وصلوا ..

« فكان هؤلاء النفر الثمانية [1] الذين سبقوا الناس بالاسلام » !!

---

(١) اي هؤلاء الستة مضافـاً اليهم .. عليّ بن ابي طالب .. وزيد بن حارثة ..

موقف أمّه من اسلامه !

يروى عن سعد :

« كنت رجلاً براً بامي ، فلما أسلمت قالت : مـــا هذا الدين الذي أحدثت ؟. لتدعنّ دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى اموت فتعـير بي !.

« فقال لها : لا تفعلى يا أماه ، فإني لا أدع ديني ..

« فمكثت يوما وليلة لا تـأكل ولا تشرب .. فاصبحت وقـد جهدت ..

« فقلت لهـــا : والله لو كان لك الف نفس ، فخرجتْ نفساً نفساً ، ما تركت هذا الشيء !

« فلما رأت ذلك مني ، اكلت وشربت ..

« فانزل الله قوله تعالى :

﴿ وإن جاهداك على ان تشرك بي مـا ليس لك به علم فـلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا ﴾ ..

نسبه !

هو سعد بن أبي وقّـاص ..

(أو ابن مالك) بن وهيب .. بن عبد مناف .. بن زهرة .. بن كلاب القرشي الزهري ..

وأمه حمنة بنت سفيان .. بن أمية .. بنت عم أبي سفيـان بن حرب بن أمية ..

ولهذا فـــإن سعداً هو خال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

اوّل دم في الاسلام !

* وكان اصحـاب رسول الله ، ﷺ .. إذا صلوا ، ذهبوا في الشعاب ، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم ..

* فبينا سعد بن أبي وقّـاص .. في نفر من أصحـاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. في شِعْب من شعاب مكة ..

« إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم ، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم .

« فضرب سعد بن ابي وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير .. فشجه .. فكان اول دم هريق في الاسلام . »

هجرة سعد الى المدينة !

وهاجر سعد إلى المدينة ، مع من هاجر اليها من صحابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ..

وآخى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . بين أصحابه من المهـــاجرين والأنصار ..

اول سهم رمى به في الاسلام !

« وبعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. في مقامه ذلك بالمدينة ، عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد منـاف بن قصي ، في ستين أو ثمـانين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحـــد ..

« فسار حتى بلغ ماء بالحجاز ، باسفل ثنية المرة ، فلقي بهـا جمعاً عظيماً من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ..

« إلا ان سعد بن ابي وقاص .. قد رمى يومئذ بسهم .. فكان اول سهم رمى به في الاسلام ..

« فكانت راية عبيدة بن الحارث ، اول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. في الاسلام ، لأحد من المسلمين .. »

سرية سعد بن ابي وقاص ؟

« وقد كان بعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. فيما بين ذلك من غزوة ، سعد بن أبي وقّاص .. في ثمـــانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرار من ارض الحجاز ، ثم رجع ولم يلق كيداً .. »

سعد في سرية عبد الله بن جحش ؟

ثم خرج سعد في سرية ، الموت فيها اقرب إلى المجـــاهد من الحياة ..

سرية عبدالله بن جحش

ونزول : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام ﴾

قال إبن هشام :

وبعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعبد الله بن جحش ابن رئاب الأسدي في رجب ، مقفله من بدر الأولى ، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه . فيمضي لما أمره به ، ولا يستكره من اصحابه أحداً .

وكان اصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين .

ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة بن عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس .

ومن حلفائهم : عبد الله بن جحش ، وهو امير القوم ، وعكاشة ابن محصن بن حرثان ، احد بني اسد بن خزيمة ، حليف لهم .

ومن بني نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان بن جابر ، حليف لهم .

ومن بني زهرة بن كلاب :

سعد بن ابي وقاص ..

ومن بني عدي بن كعب عامر بن ربيعة ، حليف لهم من عنز بن وائل ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع ، أحد بني تميم ، حليف لهم .

وخالد بن البكير ، أحد بني سعد بن ليث ، حليف لهم .

ومن بني الحارث بن فهر : سهيل بن بيضاء .

* * *

فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب ، فنظر فيه فإذا فيه :

(إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من اخبارهم) .

فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب ، قال : سمعاً وطاعة .

ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسول الله ، صلى الله عليه وسلم أن أمضي إلى نخلة ، أرصد بها قريشاً ، حتى آتيه منهم بخبر ،

وقد نهاني أن أستكره احداً منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما انا فماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

فمضى ، ومضى ومعه اصحابه ، لم يتخلف عنه منهم أحد !

* * *

وسلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمعدن ، فوق الفرع ، يقال له : بحران .

اضل سعد بن ابي وقاص ، وعتبة بن غزوان ، بعيراً لهما ، كانا يتعقبانه ، فتخلفا عليه في طلبه .

ومضى عبدالله بن جحش وبقية اصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرت به عير لقريش تحمل زبيباً وادماً ، وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو بن الحضرمي .

* * *

وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، واخوه نوفل بن عبدالله ،

المخزوميان ، والحكم بن كيسان ، مولى هشام بن المغيرة .

* * *

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عكاشة بن محصن ، وكان قد حلق رأسه .

فلما رأوه أمنوا ، وقالوا عمار ، لا بأس عليكم منهم .

وتشاور القوم فيهم ، وذلك في آخر يوم من رجب .

فقال القوم : والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم ، فليمتنعن منكم به ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام .

فتردد القوم ، وهابوا الاقدام عليهم .

ثم شجعوا انفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم .

فرمى واقد بن عبدالله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبدالله ، والحكم بن كيسان ، وأفلت القوم نوفل ابن عبدالله فأعجزهم .

وأقبل عبدالله بن جحش وأصحابه بالعير وبالأسيرين ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

وقد ذكر بعض آل عبدالله بن جحش ، أن عبد الله قال لأصحابه :

ـ أن لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مما غنمنا الخمس ..

وذلك قبل أن يفرض الله تعالى الخمس من المغانم ـ

فعزل لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خمس العير ، وقسم سائرها بين أصحابه .

* * *

فلما قدموا على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم المدينة ، قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام .

فوقف العير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً .

فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سقط في أيدي القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم اخوانهم من المسلمين فيما صنعوا .

وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، واخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال .

فقال من يرد عليهم من المسلمين ، ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما اصابوا في شعبان .

* * *

وقـــالت يهود ـ تفاءل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله ، عمرو ، عمرت الحرب ، والحضرمي ، حضرت الحرب ، وواقد بن عبد الله ، وقدت الحرب .

فجعل الله ذلك عليهم لا لهم .

* * *

فلما اكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم :

﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به ، والمسجد الحرام ، واخراج أهله منه اكبر عند الله ﴾ ..

أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، واخراجكم منه وأنتم اهله ،

أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم :

﴿ والفتنة اكبر من القتل ﴾ ..

اي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه ، حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه ..

فذلك أكبر عند الله من القتل :

﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ﴾ ..

أي ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه ، غير تائبين ولا نازعين .

فلما نزل القرآن بهذا من الأمر ، وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق قبض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين .

وبعثت اليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا – يعني سعد بن أبي وقاص ، وعتبة بن غزوان – فإنا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما ، نقتل صاحبيكم .

فقدم سعد وعتبة ، فـأفداهما رسول الله ، صلى الله عليه وسلم منهم .

فاما الحكم بن كيسان فاسلم وحسن اسلامه ، واقـام عند رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً .

واما عثمان بن عبدالله فلحق بمكة ، فمات بها كافراً .

* * *

فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن ، طمعـوا في الأجر .

فقالوا : يا رسول الله .. أنطمع ان تكون لنـا غزوة نعطى فيها أجر المجـاهدين ؟

فأنزل الله عز وجل فيهم :

﴿ إن الذين آمنوا والذين هـاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم ﴾ ..

فوضعهم الله عز وجل من ذلك على أعظم الرجاء .

قـــال ابن اسحاق :

وقد ذكر بعض آل عبـد الله بن جحش : أن الله عز وجـل قسم الفيء حين احله ، فجعل اربعة أخماس لمن أفاءه الله ، وخمساً إلى الله ورسوله ، فوقع على مـا كان عبد الله بن جحش صنع في تلك العير .

قال ابن هشام :

ـ وهي أول غنيمة غنمها المسلمون ، وعمرو بن الحضرمي اول من قتله المسلمون ، وعثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون .

* * *

قال ابن اسحاق :

فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في غزوة عبـد الله ابن جحش ، ويقال : بل عبد الله بن جحش قالها ، حين قالت قريش : قد أحل محمد واصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم واخـذوا فيه المال ، وأسروا فيه الرجـال .

قال ابن هشام :

هي لعبد الله بن جحش :

تعدون قتلا في الحرام عظيمة

واعظم منه لو يرى الرشد راشد

صدودكم عمـــا يقول محمد

وكفر به والله راء وشاهد

واخراجكم من مسجد الله أهله

لئلا يرى لله في البيت ساجد

فـــانا وإن عيرتمونا بقتله

وارجف بالاسلام باغ وحاسد

سقينا من ابن الحضرمي رماحنا

بنخلة لما اوقد الحرب واقد

دما وابن عبد الله عثمان بيننا

ينـــازعه غل من القد عـــاند

سعد يشهد بدْراً !

ثم كانت غزوة بدر الكبرى..

وكان سعْد بن أبي وقّاص .. ممن شهدوا احداثها ، وشارك في قتالها ..

قال ابن هشام :

« مَن حضر بدرا من المسلمين :

« ومن بني زهرة بن كلاب ..

« عبد الرحمن بن عوف ..

« وسعد بن ابي وقاص ..

« واخوه عمير بن ابي وقاص .. »

سعد في غزوة أحد ؟

ثم كانت غزوة أُحُد ..

وشهدها سعد وقاتل فيها ..

وشهد النصر ..

ثم شهد الهزيمة ..

وكانت له بطولة سجلها التاريخ ..

قال ابن هشام :

« وترس دون رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. أبو دجانة بنفسه ، يقع النبل في ظهره ، وهو منحن عليه ، حتى كثر فيه النبل ..

« **ورمى سعد بن أبي وقاص ..**

« **دون رسول الله .. ﷺ ..**

« **قال سعد : فلقد رأيته يناولني النبل وهو يقول :**

« ارمِ .. فداك ابي وأمّي ..

« حتى انه ليناولني السهم ما له نصل ..

« فيقول : ارمِ به .. »

سعد يشهد على صُلح الحدَيبية ؟

قال ابن هشام :

« أمر الحديبية .. في آخر سنة ست ..

« وذِكر بيعة الرضوان ..

« والصلح بين رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. وبين سهيل بن عمرو ..

« ثم اقام رسول الله ، ﷺ .. بالمدينة شهر رمضان وشوالاً ، وخرج في ذي القعدة معتمراً ، لا يريد حرباً ..

« وخرج رسول الله ، ﷺ .. بمن معه من المهاجرين والأنصار ، ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهَدْى .. واحرم بالعمرة ليامن الناس من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت

ومعظماً له .

• وكان جابر بن عبد الله يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة ..

• فدعا رسول الله ، ﷺ .. عثمان بن عفان ، فبعثه الى أبي سفيان ، وأشراف قريش ، يخبرهم انه لم يات لحرب ، وانه إنما جاء زائراً لهذا البيت ، ومعظماً لحرمته ..

• واحتبسته قريش عندها ..

• فبلغ رسول الله ، ﷺ .. والمسلمين ان عثمان بن عفان قد قُتل ..

• — بيعة الرضوان —

• فحدثني عبد الله بن ابي بكر : أن رسول الله ، ﷺ .. قال حين بلغه ان عثمان قد قُتِل :

• لا نبرح حتى نناجز القوم ..

• فدعا رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. الناس إلى البيعة ..

• فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ..

• فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله .. صلى الله عليه

وسلم .. على الموت ..

• – أمر الهُدنة –

• ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ..

• وقالوا له : أئت محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا .

• فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله ، ﷺ .. تكلم فأطال الكلام .

• وتراجعا ..

• ثم جرى بينهما الصلح ..

• فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجلاً من المسلمين ، ورجالاً من المشركين .

• أبو بكر الصديق .. وعمر بن الخطاب .. وعبد الرحمن بن عوف .. وعبد الله بن سهيل بن عمرو ..

• **وسعد بن ابي وقاص ..**

• ومحمود بن مسلمة .. ومكرز بن حفص – وهو يومئذ مشرك – ..

« وعليّ بن ابي طالب ، وكتب .. وكان هو كاتب الصحيفة ..

« ثم انصرف رسول الله ، ﷺ .. من وجهه ذلك قافلاً ..

« حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح ..

﴿ إنّا فتحنا لكَ فتحاً مُبيناً .. ﴾

سعد يشهد فتح مكة ؟

ثم كان فتح مكة ..

وخرج سعد في الكتيبة الخضراء ، التي تضم المهاجرين والأنصار وعلى رأسها رسول الله .. ﷺ ..

قـال ابن هشام :

وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

وقال : وأوعب مع رسول الله .. ﷺ .. المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ..

وقـــال : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف ..

سعد يشهد حجة الوداع ؟

فلما دخل على رسول الله ، ﷺ .. ذو القعدة ، تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له ..

ثم مضى رسول الله ، ﷺ .. على حجه ، فـــأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سُنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التي بيّن فيها ما بَيّن ..

افأتصدق بثلثي مالي ؟

روى الرواة :

أتم سعد مناسك الحج ، وقد نال منه المرض ، فـــاتجه إلى داره محموماً ..

وثقل عليه المرض حتى أشفى على الموت ..

واقبل النبي ، ﷺ .. يعوده ، فلمـــا رأى النبي ، ﷺ .. همس :

« يا رسول الله ، بلغ بي من الوجع ما ترى ، وأنا ذو مـال ، ولا يرثني إلا ابنة واحدة ، أفأتصدق بثلثي مالي ؟

« ـ لا ..

« ـ أفأتصدق بشطره ؟

« ـ لا .. الثلث يا سعد ، والثلث كثير ، إنك ان تذر ذريتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ، وانك لن تنفق نفقة تبغي بها وجه الله إلا أجرت بها ، حتى اللقمة التي تضعها في فم امرأتك ..

« وصمت النبي ، ﷺ ..

« ثم قال :

« ـ اللهم امض لأصحابي هجرتهم ، ولا تردهم على أعقـــابهم ، لكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله إن مـــات بمكة ..

« ووضع النبي ، ﷺ .. يده على جبهـة سعد ، فمسح وجهه وصدره وبطنه وقـال :

« اللهم اشف سعـداً ، وأتم له هجرته . »

بل الرفيق الاعلى !

ثم كانت وفاة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ..

وشهد سعد مشاهدها كلها ..

عن عائشة :

« .. ووجدت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. يثقل في حجري ..

« فذهبت أنظر في وجهه ..

« فإذا بصره قد شخص ، وهو يقول :

« بل الرفيق الأعلى من الجنة ..

« قالت : فقلت : خيرت فاخترت .. والذي بعثك بالحق ..

« قالت : وقبض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . »

*

أقول :

هذه بعض مشاهد سعد بن ابي وقّاص ، أثناء صحبته لرسول الله ، ﷺ ..

والذي ينبغي التركيز عليه ، أن سَعْداً منذ أسلم ، وهو في السابعة عشرة ، إلى آخر لحظة من حياة رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

أي نحو عشرين عاماً او تزيد ، كان حاضراً فيها ، في كل أمر .. لا يتغيب عن مشهد ، ولا يرغب ان يكون مع الغائبين ..

ذلك أنّ سعداً مثال رفيع ، من صحابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ..

لا يطيق أن يغيب عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لحظة واحدة .

فيمكن أن نقول ، أن سعداً شهد المشاهد كلها ..

شهد بدْراً ، وأُحُداً ، والخندق ، والحُدَيبيَةِ ، وبيعة الرضوان ، وعُمْرة القضاء ، وفتح مكة ، إلى آخر هذه المشاهد الكبرى ..

وكان لذلك كله أثره الخطير ، في تكوين شخصيته الفذّة .

حتى إذا دارت الأيام ، والقت اليـــه أخطر مهمة توكل إلى مجـــاهد ..

مهمة قتال الفُرس ، والالتحـــام معهم في المعركة العظمى ، القـادسية ..

ثم في المعركة الفاصلة ، فتح المدائن .

ظهرت مواهب سعد ، وتلألأت عبقرية سعد .

وكيف لا ؟!

وهو من أسبق السابقين إلى الاسلام ؟!

ومكث اكثر من عشرين عاماً ، يصحب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟!

وإن لحظة صحبة واحدة ، تكفي لتجعل الرجل إماماً لا يبارى ، وقائداً لا يجارى ؟!

فكيف وقـــد لازم الرجلُ ، سيدَ الخلْق ، ﷺ .

منذ بدء الإسلام ، حتى لحق رسول اللـــه ، ﷺ ، بالرفيق الأعلى ؟!

اي تربية هي أعلى من تلك التربية ؟

وأيّ نور هو أضوأ من ذلك النور ؟

وأي عظمة هي اكبر من عظمـــة ، صحبة رسول الله ، ﷺ ،
منذ بعثه الله نبيّاً ، إلى أن لحق بالرفيق الأعلى ؟

ذلكم سعْد !!

وتلك اصول شجرته المباركة !!

فإذا رأيتموه بعد ذلك ، فاتحا للامبراطورية الفـــارسية .

او فاتحاً لإيوان كسرى .

او مجهزاً على امبراطورية النار ، مطفئاً لنيرانها ، مشعلاً لنور الإسلام مكانهـا .

فلا تعجبوا ، فان النبيّ ، ﷺ ، قد تنبّأ بذلك حين قال له في غزوة أحُـد ، والدم يسيل على وجهه الشريف :

« ارْمِ سعد ..

« فداك أبي وامّي . . »

ورمى سعدٌ ، مِن بعدُ ؟!

رمى امبراطورية عتيدة بأكملها ، امبراطورية الفُرْس .
وسدّدَ اليها رميتـه .

فأصابت منها مقاتلها ، وتساقط مائة وعشرون الفاً من الفُرْس ، في معركة القادسية وحدهـــا !!

ارْمِ سَعدُ ؟!

أمرٌ من رسول الله ، ﷺ ، وأمْرُ النبيّ ، ﷺ ، لا يتحدد بزمانٍ قيل فيه .

وإنما يتموج ويعُمّ سائر الأزمان !!

فرأينا قوله ﷺ :

ارْمِ سعدُ .

تتشعشع أنواره حتى خلافة عُمَر !!

فيخرج سعدٌ على رأس الجيش ، ويرمي جيوش الفُرْس ، فتستجاب فيهم :

« ارم سعدُ .. » !!

فيتساقطون .. كالفراش المبثوث !

الأسد ...

في براثنه ...

سعد بن مالك ؟ !

المعركة العظمى !

نحن في سنة خمس عشرة هجرية .. وعمر رابض كالأسد ، في عاصمة الدولة الجديدة ، المدينة .. يفكر فيما آلت اليه أمور القوات الاسلامية المسلحة في الجبهة الشرقية ، جبهة فارس .

فبينما سجلت القوات الاسلامية نصراً ساحقاً في الشام ، إذا بقوات المثنى تتقهقر بانتظام في العراق ، وتنتظر الامدادات التي تأتيها ..

وقرر عمر أمراً خطيراً .. قرر أن يجهز على الامبراطورية الفارسية قضاء لا تقوم بعده أبداً ..

وإنك لتعجب وتسأل : أفي وقت واحد يا عمر .. أفي وقت واحد تحارب الامبراطوريتين ؟!

لماذا لا تكتفي بواحدة ، فإذا فرغت منها ، بدأت بالأخرى ؟!

ولكن عمر له تفكير آخر غير تفكيرنا ، إنه يفكر بعقل

المؤمن ، الذي يثق بوعد الله ، ويثق بنصره !

ففي الوقت الذي كانت فيه القوات الاسلامية تتجـــه إلى حمص بقيادة أبي عبيدة ، لتلتقي مع الرومان في معركة فاصلة .. كان قد قرر أن يخوض مع الامبراطورية الفارسية ، المعركة الحاسمة كذلك !!

وأرسل عمر منشوراً إلى عماله على البلاد والقبائل :

« لا تَدَعوا أحداً له سلاح ، أو فرس ، او نجدة ، او رأي ، إلا انتخبتموه ، ثم وجهتموه اليّ ، والعجلَ العجلَ !! » .

وقال عمر :

« والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب ! »

حتى إذا اجتمع له الجند بضعة آلاف ، خرج بهم حتى نزل على ماء يدعى صِراراً ، فعسكر به ، لا يدري الناس أيسير بنفسه على رأس هذا الجيش إلى العراق ، أم يقيم بالمدينة ويؤمر على الجيش رجلاً غيره ؟

مؤتمر عاجل ..

وساله عثمان بن عفان في ذلك ، فدعا الناس للصلاة ، فلما اجتمعوا سألهم رأيهم فيمن يسير على رأس الجيش إلى العراق ؟

قالت الجماهير : سِرْ وسِرْ بنا معك .

ودخل عمر في رأيهم ، وكره أن يدعهم ، إلا أن يخرجوا من هذا الرأي ..

ثم إنه دعا أصحاب المشورة فاجتمعوا اليه ، فقال لهم : احضروني الرأي فاني حائر .

وتداولوا فيما بينهم ..

ثم أجمع ملؤهم على أن يبعث أمير المؤمنين رجلا من أصحاب رسول الله على رأس الجيش ويبقى هو بالمدينة ، يُمد هذا الرجل بالجنود ..

وقالوا له :

« فان كان الذي يشتهي من الفتح فذلك ما يريد ويريدون ، وإلا ندب جند آخر يغيظ به العدو حتى يجيء نصر الله » .

وقال عبد الرحمن بن عوف :

« اقم ، وابعث جندا ، فقد رأيت قضاء الله لك في جنودك قبلُ وبعد ، فـــانه إن يُهزم جيشك ليس كهزيمتك ، وإنك إن تقتلْ او تهزم في انف الامر ، خشيت ان لا يكبّر المسلمون ، والا يشهدوا أن لا إله إلا الله » ..

إن عبد الرحمن بن عوف يخشى إن هزم عمر ، أن يؤدي ذلك إلى زوال الاسلام ؟

فلمـا استمع عمر إلى آرائهم ، جمع الجماهير ، فخطبهم .. وكان مما قال لهم :

« يحق على المسلمين ان يكونوا وأمرهم شورى بينهم ، واني إنمـا كنت كرجل منكم ، حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج ، فقد رأيت ان اقيم ، وان ابعث رجلا . »

هــذا نموذج من أساليب الشورى ، التي كانت تدور في ذلك المجتمع ..

رئيس الدولة يرغب في الخروج بنفسه للقتال على رأس الجيش ثم هو يعرض الأمر على الشعب ، ويستمع إلى رأي كل إنسان ، ثم ياخذ بالأوفق ، ويقرر البقاء وإرسال قائد غيره .

ليس هناك إذاً تحجر ولا ديكتاتورية ، وإنما الجميع يتشاورون ويشيرون ، ويؤيدون ويعارضون .. في نظام تام ، وطاعة تامة .

إنها الحرية في النظام ، والنظام في حرية !

الاسد في براثنه !.

ولم تقف حرية الرأي بهم عند هذا الحد ، وإنما تجاوزته إلى ما هو أقل شأناً من السياسة العامة .. إلى اختيار الرجل الذي يحل محل عمر في قيادة الجيش الزاحف إلى العراق .

وسأل عمر خاصته عمن يتخيره لامارة هذا الجيش ..

فأجابوه : قد وجدت الرجل !

قال : فمن ؟

قالوا : الأسد في براثنه !. سعد بن مالك !.

ووافقهم عمر ، واستحضر سعداً ، فأمره على حرب العراق .

ثم أوصاه :

« يا سعد .. لا يغرنك من الله إن قيل : خال رسول الله ،

ﷺ وصاحبه ، فان الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء ، ولكنه يمحو السيء بالحسن !. وليس بين الله وبين أحد نسب إلا بطاعته ، فالناس ، شريفهم ، ووضيعهم في دين الله سواء ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت النبي ﷺ يلزمه فالزمه ، وعليك بالصبر ! »

تلك توجيهات عمر لسعد بن أبي وقاص فماذا نأخذ منها ؟

الناس سواء ..

تلك هي القاعدة الذهبية من فلسفة عمر ، التي هي فلسفة الاسلام .

ليس بين الله وبين احد نسب إلا بطاعته ؟

فالناس ، شريفهم ، ووضيعهم ، في دين الله سواء ؟

وذلك أخطر ما في تلك القضية ..

قضية المساواة بين الناس .

الله إله الجميع ، والناس عنده سواء .

لأنه سبحانه لم يجعل نسباً بينه وبين احد ، إلا بالطاعة ،

بالعبودية ، باتباع أوامره .

فهذا هو النسب الوحيد الذي ينتسب الانسان به إلى ربه ، إن صح ان يسمى هذا نسباً .

وفي ذلك رد على أدعياء الوساطة إلى الله سبحانه .

وهذا هو الدين الصحيح ، يوم كان الدين غضاً طرياً ، لم تلوثه عفونات العقول ، ورواسب الأوهام .

هذا هو الاسلام كما يفهمه عمر ..

إسلاماً نظيفاً طاهراً ، لم يتلوث بعكارات الأفهـــام السقيمة ، والعقول الضعيفة .

واطلقها عمر تجلجل ، من شدة ما فيها من نور :

« ليس بين الله وبين أحد نسب إلا بطاعته » .

فليفهم هذا جيلنـا الصاعد ، وليعلموا أن من أراد أن يتقرب إلى الله ، فليتقرب اليه بطـــاعته ، بعمله الصالح .

وليكونوا على فهم عمر .

وإنه للفهم الحق من هذا الدين .

ولينبذوا تلك العفونات التي يتجمع من حولهـا الغـافلون من المسلمين .

ثم مـاذا يا عمر ؟

« فالناس شريفهم ووضيعهم في دين الله سواء » ..

ما معنى هذا ؟

معناه أن الجميع في حساب الله سواء ، فلا قرابـة سعد لمحمد صلى الله عليه وسلم .. تغني عنه من الله شيئاً ، وإنمـــا عمله ، وجهاده في سبيل الله هو الذي يقربه من الله .

وإنما التفاضل عند الله بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة .

يدركون ما عنده من حسن الثواب ، ويتفاضلون في درجـات الجنة ، ودرجات التقرب اليه سبحانه ، بالطاعة .

فمن تفوق في الطاعة ، تفوق في الثواب ، ومن تخلف فيها تخلف في الثواب .

وهذا أصل عظيم آخر ، نضيفه إلى مذهب عمر يتلألأ بهـــاء وسناء ، وعدلاً وقوة .

فليس في الوجود مبدأ يتقرر بين الناس أعدل من مبدأ عمر « الناس سواء » ..

وأمام من ؟

أمام الله !

ليس فقط في الآخرة ، وإنما ينبغي أن يكون ذلك كذلك في الدنيا ، في نظام الدولة ونظرتها إلى المجتمع ..

وتلك النظرة هي اكبر دافع لكل إنسان إلى العمل .. لأنه متى علم انه لا يصل إلى الدرجة التي يرجوها من الله إلا بالعمل ، سارع اليه ، وتنافس فيه ..

وهذا هو الطريق الأحسن ، لرفع انتـــاج الأمة ، في شتى القطاعات ..

الكل يعمل ..

والكل يتنافس في العمل ..

لأن كلاً منهم يريد أن يتقرب إلى ربه !

سعد ...

يبعث وفداً ...

يناظر كسرى .؟!

الاستعداد للمعركة !

واكتمل لسعد بن أبي وقّاص جيش بلغ ستة وثلاثين ألفاً .

وكان هذا أضخم جيش عباه المسلمون لغزو العراق .

وأمر عمر سعد بن أبي وقّاص بالمبادرة إلى القادسية .

والقادسية باب فارس في الجاهلية .

وأن يكون بين الحجر والمدر ، وأن يأخذ الطرق والمسالك على فارس ..

ثم قال له :

« ولا يهولنك كثرة عددهم وعدَدهم ، فانهم قوم خَدَعة مكرة ، وإن انتم صبرتم ، واحسنتم ، ونويتم الأمانة ، رجوت ان تنصروا عليهم ، ثم لم يجتمع شملهم ابداً .. »

تلقى سعد توجيهات عمر ..

فعبا جيشه تعبئة أقرها عمر .. فأمر أمراء الأجناد ، وعرّف العرفاء ، فجعل على كل عشرة عريفاً ، وأمّر على الرايات رجالاً من أهل السابقة في الإسلام ..

وجعل على المقدِّمة ، والمُجَنِّبتين أبطالاً ، حاربوا مع رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

وكان في هذا الجيش أربعمائة والف حاربوا مع رسول الله .

وسار سعد بالناس متمهلاً حتى نزل القادسية ..

وخرجت قوات الفرس في مائة وعشرين الفاً ، بقيادة رستم ، قائد الفرس الأول ..

المبدأ قبل القتال !

وعلم سعد بمسيرته ، فكتب إلى عمر ، فأمره أن يبعث إلى كسرى من يناظرونه ، ويدعونه .

فبعث سعد إلى يزدجرد وفداً ، فيه أهـــل الرأي والسياسة

والشجاعة ..

وأمرهم أن يدعوه إلى الإسلام .. فان أبى فالجزية .. وإلا فالمناجزة ..

وبلغ الوفد المدائن ـ عاصمة الفرس ـ فعجب اهلها حين رأوا رجاله عجافاً ، وجعلوا ينظرون إلى أشكالهم ، وإلى أرديتهم على عواتقهم ، والسياط في أيديهم ، والنعال في أرجلهم ، وإلى خيولهم الضعيفة ، وخبطها الأرض بأرجلها ، ويتساءلون بينهم :

ـ كيف يقدم هؤلاء على غزونا ، ويطمعون في الظفر بنا ، واقتحام عاصمتنا ؟!

واستاذن الوفد على يَزْدَجِرْد ..

فاستدعى وزراءه واستشارهم ..

ثم أذن للوفد فدخل عليه ..

فقال لهم في كبرياء وعظمة :

« ما الذي أقدمكم هذه البلاد ؟ أتراكم اجترأتم علينا لما تشاغلنا بأنفسنا ؟ . »

فأجابه أحدهم :

« فان ابيتم فالجزية ، فان أبيتموها فالمناجزة » ..

وختم كلامه :

« فان اجبتم إلى ديننا خلّفنا فيكم كتاب الله ، واقمناكم عليه ، على ان تحكموا بأحكامه ، ونرجع عنكم ، وشأنكم وبلادكم ، وان اتيتم بالجزية قبلنا ومنعناكم ، وإلا قاتلناكم » ..

عجباً !.

حفنة من عجاف الرجال ، الذين لا يثير مظهرهم أي احترام ، يهددون كسرى ، ويخيرونه بين إحدى ثلاث ، إما الاسلام ، وإما الجزية ، وإما الحرب !!

حفنة تهدد امبراطورية ..

دعوة مسلحة ..

فكرة مسلحة ..

إنهم عرضوا عليه الاسلام أولاً ، وبينوا له فكرتهم ، فان أسلم ، رجعوا عنه ، وتركوهم وبلادهم ..

فما معنى هذا ؟

معناه أنهم دعاة لا غزاة ، إنهم على استعداد ان يعودوا من حيث أتوا ، ويتنازلوا عن كل مغنم ، إذا أسلم كسرى ومن

وراءه !

الفكرة اولاً .. تعريف الناس بالله اولاً ، نقلهم من الظلمات إلى النور هو الهدف .

فان أبوا أن يستنيروا بنور لا إله إلا الله ، فليدفعوا الجزية ، ضريبة الدفاع عنهم .. فان أبوا هذا وذاك ، فالقتال يفصل بين الفريقين !

وهذا التكتيك من الاسلام أسلوب بارع عجيب في توهين قوى الكفار ، وتفكيك جموعهم !

وهو بعد هذا يدل دلالة واضحة ، على مدى انصهار جيوش الاسلام آنئذ في دينها ودعوتها ..

فهي تضع فكرتها في كفة ، وحياتها في كفة ، فاما آمن بها الناس ..

وإما قوتلوا عليها والفصل للسيف .

ماذا كان من يزدجرد حين سمع كلام الوفد العربي ؟

قال في كبرياء أجوف :

« إني لا أعلم امة في الأرض ، كانت أشقى ، ولا اقل عدداً ، ولا أسوأ ذات بين منكم ، وقد كنا نوكل بكم قرى الضواحي ..

ليكفوناكم ، لا تغزوكم فارس ، ولا تطمعون في ان تقدموا لهم . فان كان عددكم كثر فلا يغرنكم كثرته ، وإن كان الجَهْد دعاكم فرضنا قوتاً إلى خِصْبكم ، واكرمنا وجوهكم ، وكسوناكم ، وملّكنا عليكم ملكاً يرُفق بكم » .

وسمع الوفد العربي كلام كسرى ..

فسكتوا ..

فانبعث المغيرة بن شُعْبة فقال :

« ايها الملك .. هؤلاء رؤوس العرب ، ووجوههم ، وهم أشراف يستحيون من الاشراف ، وإنما يُكرم الاشراف ، ويُعظم حقهم الأشراف .

« وليس كل ما أُرسلوا به قالوه ، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عنه ، فجاوبني لأكون الذي أُبلغك وهم يشهدون على ذلك لي .. فأما ما ذكرت من سوء الحال ، فهي على ما وصفت وأشد .. »

وذكر له من سوء عيش العرب ، وإرسال رسوله اليهم ..

ثم قال له :

« اختر .. إن شئت الجزية ، وإن شئت السيف ، او تُسلم فتُنجي نفسك » !!

وغضب يزدجرد غضباً شديداً ، حين اجترأ ذلك العربي الجلف عليه بمثل ذلك القول الخشن ..

وقال :

« لولا ان الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لا شيء لكم عندي ! »

ثم أمر من جاء بحمل من تراب ، فقال :

« احملوه على اشرف هؤلاء ، ثم سوقوه ، حتى يخرج من باب المدائن .. إرجعوا إلى صاحبكم ، فاعلموه أني مُرسلٌ اليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسية ، ثم اورده بلادكم حتى أشغَلكم بانفسكم باشد مما نالكم من سابور ! » .

فماذا كان من الوفد العربي ؟

قام عاصم بن عمرو فحمل التراب على عاتقه ، وهو يقول :

« انا اشرفهم ، انا سيد هؤلاء » ..

وسار يحمل التراب ، فخرج من إيوان كسرى ..

فركب راحلته ..

وانطلق واصحابه حتى بلغوا القادسية .

ودخلوا على سعد ، وقص عاصم ما حدث ، وكيف حماوا أرض فارس ..

ثم قال :

« ابشروا .. فقد والله اعطانا الله مقاليد ملكهم » !!

اخراج العباد ..

من عبادة العباد ..

الى عبادة الله !؟

وسار

رستم ..

« وجمع آلة الحرب ..

« وبعث على مقدمته الجالينوس في اربعين الفاً ..

« وخرج هو في ستين الفاً ..

« وفي ساقته عشرون الفاً ..

« وجعل في ميمنته الهُرْمزان ..

« وعلى الميسرة مِهْران بن بهرام ..

« وقال رستم للملك يشجعه بذلك : إن فتح الله علينا القوم فتوجّهنا إلى ملكهم في دارهم حتى نشغلهم في اصلهم وبلادهم إلى أن يقبلوا المسالمة ..

« وكان خروج رستم من المدائن في ستين الف متبوع .. ومسيره عن ساباط في مائة الف وعشرين الف متبوع ..

« ثم سار فنزل بكُوثَى .. فأتى برجل من العرب ..

« فقال له : ما جاء بكم وماذا تطلبون ؟

« فقال : جئنا نطلب موعود الله بمُلْك أرضكم وأبنائكم إن أبيتم أن تُسلموا !!

« قال رستم : فان قُتلتم قبل ذلك ؟!

« قال : مَن قُتل منّا دخل الجنة ، ومَن بقي منا أنجزه الله ما وعده .. فنحن على يقين ..

« فقال رستم : قد وَضَعَنا إذَنْ في أيديكم ؟!

« فقال : أعمالكم وضعتكم .. فاسلمكم الله بها .. فلا يغرّنك مَنْ ترى حولك .. فانك لستَ تجاول الإنسَ .. إنما تجاول القَدَر !!

« فضرب عنقه ، ثم سار ..

« ثم سار رستم فنزل بالقادسية ..

« وكان بين مسيره من المدائن ووصوله القادسية أربعة أشهر .. لا يقدم رجاء أن يضجروا بمكانهم فينصرفوا .

« وخاف أن يلقى ما لقي من قِبَله ..

« وطاولهم لولا ما جعل الملك يستعجله .. ويُنهضه ، ويقدّمه ،

حتى أقحمه ..

« وكان عمر قد كتب إلى سعد يأمره بالصبر والمطاولة أيضاً .. فاعدّ للمطاولة .. »

إنّا لم نأتكم لطلب الدنيا !.

« فلمّا وصل رستم القادسية .. وقف على العتيق بحيال عسكر سعد .. ونزل الناس ، فما زالوا يتلاحقون حتى أعتموا من كثرتهم ..

« والمسلمون ممسكون عنهم ..

« فلما أصبح رستم من تلك الليلة ، ركب .. حتى أتى على مُنقطع عسكر المسلمين ..

« ثم صعد حتى انتهى إلى القنطرة .

« فتأمّل المسلمين .. ووقف على موضع يشرف منه عليهم .. ووقف على القنطرة ..

« وأرسل إلى زُهْرة فواقفه ..

« فأراده على أن يصالحه ، ويجعل له جُعْلاً على أن ينصرفوا عنه

من غير أن يصرّح له بذلك !!

« بل يقول له : كنتم جيراننا .. وكنا نحسن اليكم ونحفظكم ، ويخبره عن صنيعهم مع العرب ..

« فقال له زُهْرة :

« ليس أمرنا أمر أولئك ..

« إنا لم نأتِكم لطلب الدنيا ..

« إنما طَلبتنا وهمتنا الآخرة !!

« وقد كنّا كما ذكرتَ .. إلى أن بعث الله فينا رسولاً فدعانا إلى ربّه فاجبناه ..

« فقال لرسوله :

« إني سلّطتُ هذه الطائفة على مَن لم يَدِنْ بديني ..

« فانا منتقم به منهم .

« وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرّين به .

« وهو دين الحقّ ..

« لا يرغب عنه أحد إلاّ ذلّ ..

« ولا يعتصم به أحد إلاّ عزّ !!

اخراج العباد .. من عبادة العباد ..

الى عبادة الله !.

« فقال له رستم : ما هو ؟

« قال : أما عموده الذي لا يصلح إلاّ به .. فشهادة أن لا إله إلا الله .. وأنّ محمداً رسول الله ..

« قال : وأيّ شيء أيضاً ؟

« قال : وإخراج العباد .. من عبادة العباد .. إلى عبادة الله .. والناس بنو آدم وحوّاء .. إخوة لأب وأمّ .

« قال : ما أحسن هذا !

أترجعون !

« ثم قال رستم : أرأيتَ إن أجبتُ إلى هذا ومعي قومي ،

كيف يكون امركم ؟ اترجعون ؟.

« قال : إي والله ..

« قال : صدقتني .. أما إنّ أهل فارس منذ ولي أردشير .. لم يَدَعوا أحداً يخرج من عمله من السِّفلة ، كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم : تعدّوا طَورَهم وعادوا اشرافهم .

« فقال زُهْرة : نحن خير الناس للناس ، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون ..

« بل نطيع الله في السِّفلة ، ولا يضرّنا مَن عصى الله فينا ..

« فانصرف عنه ، ودعا رجال فارس .. فذاكرهم هذا .. فأنفوا ..

رستم يبعث الى سعد !.

« فارسل إلى سعد : أن ابعثْ الينا رجلاً .. نكلمه ويكلمنا ..

« فدعا سعدٌ جماعة ، ليرسلهم اليهم .

« فقال له رِبْعيّ بن عامر : متى نأتِهم جميعاً يروا أنّا قد

احتفلنا بهم ، فلا تزدْهم على رجل .

« فارسله وحده !!

المشهد الخالد !.

« فسار اليهم ..

« فحبسوه على القنطـرة ..

« وأعـلم رستم بمجيئه ، فاظهر زينته وجلس على سرير من ذهب ، وبسط البُسط والنمارق والوسائد المنسوجة بالذهب !

« واقبل رِبْعيّ على فرسه .. وسيفه في خرقة ، ورمحه مشدود بعصب وقدّ .

« فلما انتهى إلى البُسط قيل له : انزلْ ..

« فحمل فرسه عليها .

« ونزل وربطها بوسادتَين شقّهما وأدخل الحبل فيهما .

« فلم ينهوه ، وأروه التهاون ..

« وعليه درع ، وأخذ عباءة بعيره فتدرّعها وشدّها على وسطه .

« فقالوا : ضعْ سلاحك ..

« فقال : لم آتِكم فاضع سلاحي بامركم ، انتم دعوتموني ..

« فـأخبروا رستم ..

« فقـال : ائذنوا له ..

« فاقبل يتوكأ على رمحه ، ويقارب خطوه .

« فلم يَدَعْ لهم نمرقاً ولا بساطاً إلا افسده وهتكه !

« فلما دنا من رستم .. جلس على الأرض ، وركز رمحـه على البسط ..

« فقيل له : ما حملك على هذا ؟!

« قـال : إنّـا لا نستحبّ القعود على زينتكم ..

« فقال له ترجمان رستم ـ واسمه عَبود من أهل الحيرة ـ : ما جاء بكم ؟

« قال : الله جاء بنا .. وهو بعثنا لنُخْرج مَن يشاء من عباده ، من ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الاسلام .. فأرسلنا بدينه إلى خلْقه .. فمَن قبله قبلنا منه ورجعنـــا عنه .. وتركناه وارضه دوننا .. ومَن أَبى قاتلناه حتى نُفضْي إلى الجنـة او الظفر ..

« فقال رستم : قد سمعنا قولكم .. فهل لكم ان تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه ؟

« قال : وإن مما سنَّ لنا رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. ان لا نمكّن الأعداء اكثر من ثلاث ، فنحن متردّدون عنكم ثلاثاً ، فانظر في أمرك .. واخترْ واحدة من ثلاث بعد الأجل .. إمـــا الاسلام وندعك وارضك .. او الجزاء فنقبل ونكفّ عنك .. وإن احتجتَ الينا نصرناك .. او المنابذة في اليوم الرابع .. إلا ان تبدأ بنا .. انا كفيل بذلك عن اصحـابي ..

« قال : اسيدهم انت ؟!

« قـال : لا .. ولكنّ المسلمين كالجسد الواحـد .. بعضهم من بعض .. يجير أدناهم على اعلاهم !! »

*

أقول ..

هل قرأتَ وتفكّرتَ ؟!

أيمكن ان يقف امام هؤلاء جيش مهما كان ؟

هؤلاء اصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم !!

الرجل منهم يوازي أمة باكملها !!

وقف شامخاً شموخ العزة المتشعشعة من عزّة الله ورسوله ..

يرى رستم هذا ذبابة حقيرة لا تساوي أن يبصق عليها !!

صحيح أن رستم هو قائد عام القوات الفارسية المسلحة ..

ولكن في تقييم رِبْعيّ .. صاحب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. لا يعدو أن يكون كافراً مُنتناً ، وجيفة نجسة ..

ها هو رستم يزهو في زينته .. ولكن صاحب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. لا التفات منه إلى دنيا .. إنما هو الحقّ .. إما أن يعلو .. وإما ان تُدكدك فارس على رؤوس اهلها !

رستم يجتمع بقادة الفرس ..

• فخلا رستم برؤساء قومه ..

• فقال : هل رأيتم كلاماً قطّ أعزّ ، واوضح من كلام هذا الرجل ؟!

• فقالوا : معاذ الله ، ان نميل إلى دين هذا الكلب !!

• أما ترى إلى ثيابه ؟!

• فقال : ويحكم !. لا تنظروا إلى الثياب .. ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة ، إنّ العرب تستخفّ باللباس ، وتصون الأحساب ، ليسوا مثلكم ..

رستم يطلب مقابلة اخرى !.

• فلما كان من الغد ، أرسل رستم إلى سعد : ان ابعثْ الينا ذلك الرجل !

• فبعث اليهم حُذَيفة بن مِحصن ..

• فاقبل في نحو من ذلك الزيّ ، ولم ينزل عن فرسه .

• ووقف على رستم راكباً !!

• قال له : انزلْ ..

• قال : لا أفعل .

• فقال له : ما جاء بك ، ولم يجيء الأوّل !

« قال له : انّ اميرنا يحبّ ان يعدل بيننا في الشّدّة والرخاء ، وهذه نوبتي .

« فقال : ما جاء بكم ؟

« فأجابه مثل الأوّل !!

« فقال رستم : أو الموادعة إلى يوم ما ؟!

« قال : نعم ، ثلاثاً من امس ..

« فردّه .. وأقبل على اصحابه وقال :

« ويَحكم !. اما ترون ما ارى ؟. جاءنا الأوّل بالأمس فغلبنا على أرضنا .. وحقّر ما نعظم .. واقام فرسه على زِبْرِجنا ، وجاء هذا اليوم .. فوقف علينا .. وهو في يُمْن الطائر .. يقوم على أرضنا دوننـــا !!

رستم يطلب مقابلة ثالثة !.

« فلما كان الغد ارسل : ابعثوا الينـــا رجلاً ..

« فبعث المُغيرةَ بن شُعبــة ..

« فاقبل اليهم وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب . وبُسطهم على غلوة .. لا يوصل إلى صاحبهم حتى يمشي عليها ..

« فاقبل المُغيرة .. حتى جلس مع رستم على سريره !!

« فوثبوا عليه .. وأنزلوه .. ومعكوه !!

« وقال : قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام .. ولا ارى قوماً اسفه منكم ..

« إنّا معشر العرب ، لا نستعبد بعضنا بعضاً ..

« فظننتُ أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ؟!

« فكان احسن من الذي صنعتم أن تُخبروني انّ بعضكم ارباب بعض .

« فإن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ، ولا يصنعه أحدٌ .

« وإني لم آتِكم .. ولكن دعوتموني اليوم .

« علمتُ انكم مغلّبون ، وان ملكاً لا يقوم على هذه السيرة ، ولا على هذه العقول !!

« فقالت السّفله : صدق والله العربيّ .

« وقالت الدهاقين : والله لقد رمي بكلام لا تزال عبيدنا

ينزعون اليـه .. قاتل الله اوّلينا حين كانوا يصغرون امر هـذه الأمـة !!

رستم يستأسد ..

(ثم تكلم رستم ..

(فحمد قومه ، وعظم أمرهم .. وقال :

(لم نزل متمكنين في البلاد .. ظاهرين على الأعداء .. اشرافاً في الأمم ..

(فليس لأحد مثل عزّنا وسلطاننا ..

(نُنصر عليهم .. ولا يُنصرون علينا .. إلاّ اليوم واليومَين والشهر للذنوب ..

(فاذا انتقم الله منّا .. ورضي علينا .. ردّ لنـــا الكرّة على عدوّنا ..

(ولم يكن في الأمم امة اصغر عندنا امراً منكم !!

(كنتم اهل قشفٍ ومعيشةٍ سيئة ..

(لا نراكم شيئـــاً ؟!

(وكنتم تقصدوننا إذا قحطت بلادكم .. فنأمر لكم بشيء من التمر والشعير .. ثمّ نردّكم .

(وقد علمتُ انه لم يحملكم على مـــا صنعتم إلاّ الجهد في بلادكم ..

(فانا آمر لأميركم بكسوة وبغـل والف درهم !

(وآمر لكلّ منكم بوقر تمر ..

(وتنصرفون عنـا ..

(فاني لستُ أشتهي ان اقتلكم !!) .

*

اقـول :

رستم هنا يتبجح ، ولكن هو اسـد في داخله ارنب !

لقد لجـأ إلى الاعيب السياسة والساسة ..

ولكن هيهات هيهات !!

المغيرة يتحدث !.

(فتكلم المغيرة ..

(فحمد الله ، واثنى عليه .. وقال :

(إن الله خالق كلّ شيء ورازقه .. فمن صنع شيئاً فانمـــا هو يصنعه ..

(واما الذي ذكرتَ به نفسك واهل بلادك فنحن نعرفـــه .. فالله صنعه بكم .. ووضعه فيكم ، وُهوَ له دونكم .

(وأما الذي ذكرتَ فينا من سوء الحال والضيق والاختلاف ، فنحن نعرفه ولسنا نُنكره .. والله ابتلانـا به .. والدنيا دولٌ .. ولم يزل أهلُ الشدائد يتوقعون الرخاء حتى يصيروا اليـــه ، ولم يزل اهل الرخاء يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم ..

(ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم يقصر عما أوتيتم ..

(واسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال ..

(ولو كُنا فيما ابتُلينا به أهل كفر لكان عظيم مـا ابتلينا بـه

مستجلباً من الله رحمةً يرفه بها عنا ..

(إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولاً ..

(ثم ذكر مثل ما تقدّم من ذكر الاسلام والجزية والقتال ..

(وقال له : وإنّ عيالنا قد ذاقوا طعام بلادكم .. فقالوا : لا صبرَ لنا عنه !

(فقال رستم : إذاً تموتون دونها !!

(فقال المغيرة : يدخل مَن قُتل منا الجنة ، ومَن قُتل منكم النار .. ويظفر مَنْ بقي منا بمن بقي منكم !

(فاستشاط رستم غضباً .. ثم حلف أن لا يرتفع الصبح غداً .. حتى نقتلكم أجمعين !!

(وانصرف المغيرة ..)

سعد يرسل وفداً اخيراً ..

(ثم ارسل اليه سعدٌ بقية ذوي الرأي فساروا .. وكانوا ثلاثة ، إلى رستم .. فقالوا له :

(إن اميرنا يدعوك إلى ما هو خيرٌ لنا ولك ..

(العافية أن تقبل ما دعاك اليه .. ونرجع إلى ارضنا .. وترجع إلى ارضك .. وداركم لكم .. وامركم فيكم .. وما أصبتم كان زيادة لكم دوننا .. وكنّا عوناً لكم على أحد إن أرادكم ..

(فاتّقِ الله .. ولا يكوننّ هلاك قومك على يدك ..

(وليس بينك وبين أن تُغبط بهذا الأمر إلاّ أن تدخل فيه وتطرد به الشيطان عنك .

فلسفة رستم الجوفاء ..

(فقال لهم :

(إنّ الأمثال أوضح من كثير من الكلام ..

(إنكم كنتم أهل جهدٍ وقشفٍ .. لا تنتصفون ولا تمتنعون ، فلم نُسيء جواركم .. وكنّا نميركم ونُحسن اليكم .. فلما طعمتم طعامنا .. وشربتم شرابنا .. وصفتم لقومكم ذلك ودعوتموهم ثم اتيتمونا ..

(وإنما مثلكم ومثلنا كمثل رجل كان له كَرْم فرأى فيه ثعلباً .. فقال : وما ثعلب !

(فانطلق الثعلب فدعا الثعالب إلى ذلك الكرم ..

(فلما اجتمعوا اليه سدّ صاحب الكرم النقب الذي كنّ يدخلن منه فقتلهنّ .

(فقد علمتُ أنّ الذي حملكم على هذا الحرصُ والجهدُ .. فارجعوا ونحن نميركم ..

(فإني لا اشتهي ان اقتلكم ..

(فما دعاكم إلى ما صنعتم .. ولا أرى عَدداً ولا عُدّة ؟!

اتعبرون الينا ام نعبر اليكم ..

(فتكلم القوم .. وذكروا سوء حالهم .. وما منّ الله به عليهم من إرسال رسوله .. واختلافهم أوّلاً .. ثم اجتماعهم على الاسلام ..

(وما أمرهم به من الجهاد ..

والله لو لم يكن ما نقول حقاً .. ولم يكن إلا الدنيا لما صبرنا عن الذي نحن فيه من لذيذ عيشكم .. ورأينا من زبرجكم ولقارعناكم عليه !!

(فقال رستم : أتعبرون الينا أم نعبر اليكم ؟

(فقالوا : بل اعبروا الينا ..

(ورجعوا من عنده عشيّاً

(ولما ركب رستم ليعبر كان عليه درعان ومغفر .. وأخذ سلاحه ووثب فإذا هو على فرسه لم يضع رجله في الركاب وقال :

(غداً ندقّهم دقاً !!

(فقال له رجل : إن شاء الله ..

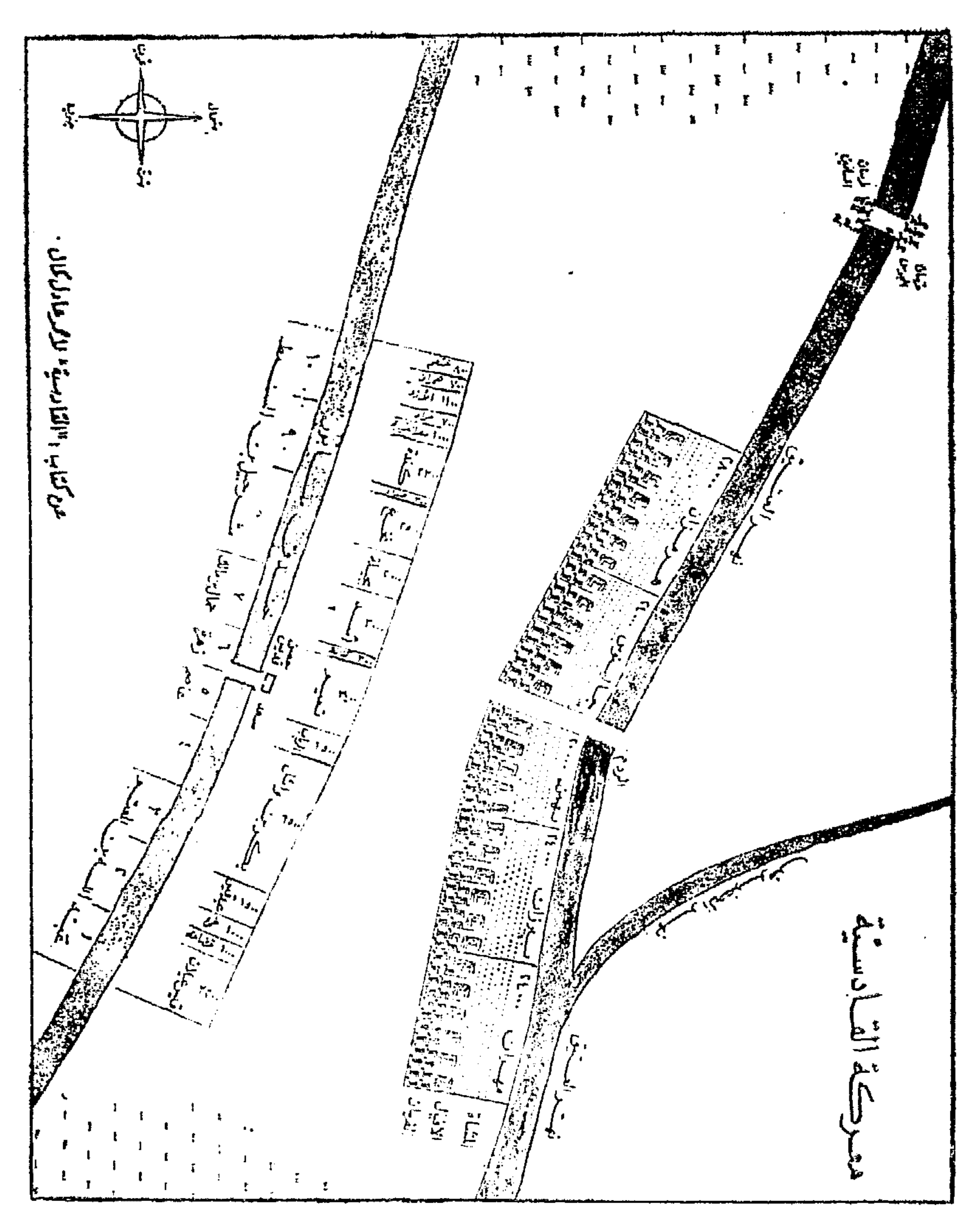
(فقال : وإن لم يشأ !!)

* * *

اقول :

وفشلت جميع المفاوضات ..

وبات الفريقان يصطفان للقتال !!



تنظيم الجيشين – العربي والفارسي – عند بدء المعركة

معركة القادسية العظمى ..

اليوم الاول ..

يوم ارماث ؟!

كسرى يامر بالزحف فوراً ..

وقال يزدجرد لرستم :

« لتسيرن او لأسيرن بنفسي » .

وخرج رستم بقواته الضخمة تتقدمها الفيلة ، أمضى سلاح لدى الفرس !

وبلغ رستم القادسية في جيش عدته مائة وعشرون الفاً ، يتقدمهم ثلاثة وثلاثون فيلاً ، بينها فيل سابور الأبيض .

وصف جنوده أمام جنود المسلمين ، وقدم الفيلة أمامه ، وبدا بذلك في مظهر من القوة يثير الرعب في النفوس .

ومرض سعد بن أبي وقاص اول المعركة مرضاً جعله لا يستطيع أن يركب او يجلس ..

فهو مكب على وجهه ، في صدره وسادة يعتمد عليها ، ويشرف

على الناس من القصر ، يرمي بالرقاع فيها أمره ونهيه .

واعجز المرض سعداً عن كل حركة يوجبها مكانه من جيش المسلمين في هذا الوقت الرهيب .

وخطب سعد وهو على حاله تلك من يليه من الجند :

« .. إن الله هو الحق لا شريك له في الملك ، وليس لقوله خُلف ..

« قال الله جلّ ثناؤه :

(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرضَ يرثها عباديَ الصالحونَ) ..

« إن هذا ميراثكم ، وموعود ربكم .. وقد جاءكم هذا الجمع ، وانتم وجوه العرب ، وخيار كل قبيلة .. فان تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة ، جمع الله لكم الدنيا والآخرة ، ولا يقرب ذلك أحداً إلى أجله .. وإن تفشلوا وتهنوا وتضعُفوا ، تذهب ريحكم ، وتوبقوا آخرتكم » .

ورأى رستم تجهز العرب ، فثارت في نفسه الحمية لوطنه ، لذلك لم يلبث ، حين عبر جنده النهر ، واصطفوا صف القتال ، أن لبس ملابس الحرب ، وأمر بفرسه فأسرج فركبه وهو يقول : غداً

ندقّهم دقاً .

ووقف الجيشان ينتظران أمر الصدام .

كيف كانوا يقاتلون ..

نعرض هنا صورة للكيفية التي كان يقاتل بها آباؤنا أعداءهم .. ليتبين الجيل الصاعد من أبنائنا وبناتنا كيف كان هؤلاء الناس ، وأي طراز من المقاتلين كانوا ؟

وأرسل سعد بن أبي وقاص في الناس : إذا سمعتم التكبير فشُدّوا شسوع نعالكم .

فاذا كبرت الثانية فتهيئوا .

فاذا كبرت الثالثة فشُدّوا النواجز على الأضراس واحملوا .

ما شاء الله يا سعد .. ما شاء الله !

أهكذا يا سعد .. تتحول المعركة إلى ساحة تكبير .. ومعبد كبير ؟

ولا عجب ، فهي جامعة رسول الله .. تلك الجامعة العجيبة

العجيبة ، التي لا ترى فصلاً بين الدين والدنيا .

ما اعظم المنظر !

اربعون الفاً يكبرون مرة واحدة :

ـ الله اكبر !

اربعون الف قلب تهدر بتعظيم الله ؟!

تا لله إنه لأكبر دليل على صدق دعوتك يا رسول الله ؟.

هؤلاء الذين تركتهم ، وذهبت إلى الرفيق الأعلى ، ما زالوا على طريقك سائرين .. وهم اولاء يكبرون الله قبل ان يشهروا السيوف !

إنها لا إله إلا الله ، التي جئت بها يا رسول الله .. وهذا هو أثرها ، وهذا هو شعاعها .

فهل كان هذا فقط هو ما تلألأ في ساحة المعركة ؟

كلا ..

فما هو آت اروع وأعجب !

أمر سعد من يقرأ سورة الجهاد ..

فقرئت ، في كل كتيبة !

فهشت قلوب الناس ، واطمأنوا إلى ما هم مقبلون عليه .

جو قرآني ..

قلوب مومنة ، تستفتح بكلام الله ، قبل ان تخوض المعركة ..

فما اعظم هؤلاء النـاس !

فلمـا فرغ القراء ..

كبر سعد !

فكبر الذين يلونه ..

ثم كبر الثانية ، فتهيأ الناس ..

فلما كبر الثالثة ..

أنشب اهل النجدات القتال ، وخرجوا يبارزون أهل فارس .

وكبر سعد الرابعـة ..

فـــالتحم الجيشان ..

وانقضى النهـار .

وغربت الشمس ، والقتال لا يزال حامياً .

فلما ذهبت هدأة من الليل ، رجع الجيشان ، كل إلى مواقفـه ،

وكل يحسب للغد حسابه ..

المرأة العربية في المعركة ..

فلما تنفس الصبح ، شُغل العرب ، وشغل الفرس بدفن القتلى ، ونقل الجرحى .

وقد دفن المسلمون قتـــلاهم بوادٍ قريب ، ونقلوا الجرحى إلى العُذَيب ، ليقوم النساء على العنـاية بهم .

امـــا الفرس فدفنوا القتلى في المؤخرة ، وحملوا الجرحى إلى الضفـة الأخرى من النهر .

تلك هي المرأة المسلمة ، العربية ، في أيام الاسلام الأولى ، حيث كان الاسلام إسلاماً صحيحـــاً ..

كانت تدخل الميدان ، وتنزل إلى خط النار ، وتقوم بـأعمال التمريض والتطبيب .

وفي ذلك رد على أولئك الموتى ، الذين يريدون للحياة المنطلقة أن تقف ..

وللأحياء ان يموتوا .

إن المرأة العربية يجب أن تعمل ، وتحـــارب ، وتدافع عن وطنهـــا ..

كل ذلك في حدود دينها ..

وآداب الاسلام المعلومة ..

اليوم الثاني ...

يوم اغوات ؟!

« ولمـــا اصبح القوم .. وكل سعد بالقتلى والجرحى مَن ينقلهم ..

« فسلّم الجرحى إلى النساء .. ليقمن عليهم ..

« وأما القتلى فدُفنوا هنالك على مشرّق .. وهو وادٍ بـــين العُذَيب وعين الشمس ..

القعقاع وبطولاته الخارقة ؟

« فلما نقل سعد القتلى والجرحى ..

« طلعت نواصي الخيل من الشام .. وكان فتح دمشق قبـــل القادسية ..

« فلمـا قدم كتاب عمر على أبي عبيـدة بن الجرّاح ، بارسال اهل العراق .. سيّرهم وعليهم هاشم بن عُتبة بن أبي وقاص ..

« وعلى مقدّمته .. القَعقـاع بن عمرو التميمي ..

« فتعجّل القعقاع .. فقدم على الناس صبيحة هذا اليوم ..

« وهو يوم أغواث ..

« وقد عهد إلى أصحابـــه ان يتقطعوا أعشاراً .. وهم الفٌ !!

« كلما بلغ عشرة مدى البصر .. سرّحوا عشرة !!

« فقدّم أصحابـه في عشرة ..

« فاتى الناس فسلم عليهم ، وبشرهم بالجنود .. وحرّضهم على القتـــال ..

« وقـال : اصنعوا كما اصنع ..

« وطلب البراز .. فقالوا فيه بقول أبي بكر : لا يُهزَم جيش فيهم مثل هذا ..

« فخرج اليه ذو الحـاجب ..

« فعرفه القعقاع فنادى : يا لثارات أبي عُبَيد وَسليط واصحاب الجسر !

« وتضاربا ..

• فقتله القعقاع !

• وجعلت خيله تَرد إلى الليل !

• وتنشّط النـاس ..

• وكأن لم يكن بالأمس مصيبة ..

• وفرحوا بقتل ذي الحاجب ، وانكسرت الأعاجم بذلك !.

باشروهم بالسيوف ؟

• وطلب القعقاع البراز ..

• فخرج اليه الفيرزان والبنذوان ..

• فانضم إلى القعقاع ، الحارث بن ظَبيان بن الحارث ، أحـد بني تيم اللات ..

• فتبارزوا ..

• فقتل القعقاع الفيرزانَ !

• وقتل الحارث البنذوانَ !

• ونادى القعقاع : يا معشر المسلمين .. باشروهم بالسيوف ، فإنما

يحصد النـاس بها !

« فاقتتلوا حتى المساء ..

« فلم يرَ أهل فارس في هذا اليوم شيئاً مما يُعجبهم ..

« واكثر المسلمون فيهم القتل ..

« ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل ، كانت توابيتهـا تكسرت بالأمس .. فاستأنفوا عملها فلم يفرغوا منها حتى كان الغد ..

الحرب خدعة ..

« وجعل القعقاع كلما طلعت قطعة من أصحـابه ، كـبّر .. وكـبّر المسلمون .. ويحمل ويحملون ..

« وحمل بنو عمّ للقعقاع عشرة عشرةً .. على إبل قد ألبسوهـا وهي مجللة مبرقعة .. وأطافت بهم خيولهم تحميهم ..

« وأمرهم القعقاع أن يحملوها على خيل الفرس .. يتشبّهون بالفيــلة !

« ففعلوا بهم هـذا اليوم .. وهو يوم أغواث .. كما فعلت فارس

يوم أرْمـاث ..

« فجعلت خيل الفرس تفرّ منهـــا .. وركبتها خيول المسلمين ..

« فلمّا رأى الناس ذلك استنُّوا بهم ..

« فلقي الفرس من الإبل أعظم ممّا لقي المسلمون من الفيلة .

« وحمل القعقاع بن عمرو يومئذ ثلاثين حملة !

« كلمـــا طلعت قطعة حمـل حملة .. واصاب فيها .. وقَتـل ..

« فكان آسرهم بُزُرْجُمهر الهمـذانيّ ..

« وبارز الأعورُ بن قُطْبةَ .. شهريارَ سجستان .. فقتـل كل واحد منهما صاحبه ..

تساقط قادة الفرس ؟

« وقاتلت الفرسان إلى انتصاف النهار ..

« فلما اعتدل النهار .. تزاحف الناس .. فاقتتلوا حتى انتصف

الليـــل ..

• ولم يزل المسلمون يرون في يوم أغواث الظفر ..

• وقتلوا فيه عامة اعلامهم ..

• وجالت فيه خيل القلب .. وثَبَتَ رَجلهم ..

• وبات الناس على ما بات عليه القوم ليلة أرْماث !!

ابو محجن الثقفى ..

او بطولة ..

اغرب من الخيال ؟!

تقدم

الآن .. قصة بطولة خارقة .. أغرب من خيال الشعراء ، وأفانين الفنّانين !

• ولمّا اشتدّ القتال ..

• وكان أبو مِحْجَن .. قد حُبس وقُيّد .. فهو في القصر ..

• قال لسَلمى .. زوج سعد :

• هل لكِ أن تخلي عني .. وتعيريني البلقاء ؟

• فلله عليّ إن سلّمني الله .. أن أرجع اليك .. حتى أضع رجلي في قيدي ..

• فأبت .

« فقال :

كفى حَزَنًا أن تَرْدِيَ الخيلُ بالقنا
وأُترَكَ مشدوداً عليّ وثاقِيَا

إذا قمتُ عنّاني الحديدُ وأُغلقتْ
مَصاريعُ دوني قد تصمّ المُناديَا

وقدْ كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ
فقد تركوني واحداً لا أخا لِيَا

ولله عهْدٌ لا أخيسُ بعَهدِهِ
لئن فُرجتْ أن لا أزورَ الحوانِيَا

« فرقت له سلمَى .. وأطلقته !

« وأعطته البلقاء فرسَ سعد !

« فركبها .. حتى إذا كان بحيال الميمنة كبّر .. ثم حمل على ميسرة الفُرس ..

« ثمّ رجع خلف المسلمين ، وحمل على ميمنتهم ..

« وكان يقصف الناس قصفاً منكراً !!

« وتعجّب الناس منه ، وهم لا يعرفونه !

« فقال بعضهم : هو من أصحاب هاشم ، أو هاشم نفسه !

« وكان سعد يقول :

« لولا محبس أبي مِحْجَن .. لقلت هذا أبو محجن . وهذه البلقاء !

« وقال بعض الناس : هذا الخضر !

« وقال بعضهم : لولا أنّ الملائكة لا تباشر الحرب لقلنا إنه مَلَك !

« فلما انتصف الليل ، وتراجع المسلمون والفُرس عن القتال ..

« اقبل أبو مِحْجَن .. فدخل القصر ..

« وأعاد رجليْه في القيد !

« وقال :

لقد علِمَتْ ثقيفُ غيرَ فَخْرٍ

بأنا نحن أكرَمهم سُيوفاً

واكثرُهم دُروعاً سابغـاتٍ

وأصبرُهم إذا كرهوا الوُقوفَا

وأنا وَفــــدُهم في كلّ يوْمٍ

فإنْ عُمّوا فَسَلْ بهمُ عريفا

ولَيلةَ فارسٍ لم يشعروا بي

ولم أشعِرْ بمخرَجيَ الزُّحوفا

فـإنْ أُحبسْ فـذلِكمُ بلائي

وإن أُترَكْ أذيقُهُم الحُتُوفَا

(فقالت له سَلمَى :

(في اي شيء حبسك ؟

(فقال : والله ما حبسني بحرام أكلتُه ولا شربتـه .. ولكنني كنت صاحب شرابٍ في الجـــاهلية .. وأنا امرؤ شاعر .. يدب الشعر على لسـاني .. فقلت :

إذا متُّ فادفني إلى اصلِ كرْمةٍ

تُرَوّي عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفنني بالفلاةِ فـــإنني

أخافُ إذا ما متُّ ان لا أذوقها

(فلذلك حبسني ..

(فلما اصبحت أتت سعداً فصالحتـه ..

(وكانت مغاضبة له ..

(وأخبرته بخبر أبي مِحْجَن ..

(فاطلقه .. فقال :

(اذهبْ .. فمـا انا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله ..

(قال : لا جَرَمَ .. واللهِ لا أُجيب لساني إلى صفـة قبيـح ابـداً !

★

هذه هي القصة التي هي اغرب من الخيال .

وما كان من ابي مِحجَن في اليوم الثاني .. من المعركة العظمى .. القادسية .. يوم اغواث !

اليوم الثالث ...

يوم عماس ؟!

« ثم أصبحوا اليوم الثالث ، وهم على مواقفهم ..

« وبين الصفّين من قتلى المسلمين الفان من جريحٍ وميتٍ ..

« ومن المشركين عشرة آلاف ..

« فجعل المسلمون ينقلون قتلاهم إلى المقابر ..

« والجرحى إلى النساء ..

« وكان النساء والصبيان يحفرون القبور ..

« وكان على الشهداء حاجب بن زيد ..

« وأمّا قتلى المشركين فبين الصفّين ، لم يُنقلوا ..

« وكان ذلك مما قوّى المسلمين !!

القعقاع يكرر خدعته ؟

« وبات القعْقاع تلك الليلة يسرّب أصحابه ، إلى المكان الذي فارقهم فيه ..

« وقال : إذا طلعت الشمس فأقبلوا مائةً مائةً ..

« فإن جاء هاشم فذاك ..

« وإلاّ جددتم للناس رجاء وجدّاً ..

« ولا يشعر به أحد !

« وأصبح الناس على مواقفهم ..

« فلما ذر قرن الشمس أقبل أصحاب القعقاع ..

« فحين رآهم كبّر .. وكبر المسلمون ..

« وتقدموا .. وتكتّبت الكتائب ..

« واختلفوا الضرب والطعن ، والمدد متتابع ..

هاشم يصنع صنيع القعقاع ..

« فلما جاء آخر أصحاب القعقاع ، حتى انتهى اليهم هاشم ..

« فأُخبر بما صنع القعقاع ..

« فعبى أصحابه سبعين سبعين ..

« وكان فيهم قيس بن هُبَيرة بن عبد يَغُوث ، ولم يكن من أهل الأيام ، إنما كان باليرموك ..

« فانتدب مع هاشم .. حتى إذا خالط القلب كبّر .. وكبر المسلمون ..

« وقال : أول قتال المطاردة ، ثم المراماة ..

« ثم حمل على المشركين ، يقاتلهم .. حتى خرق صفّهم إلى العتيق ... ثم عاد !!

« وكان المشركون قد باتوا يعملون توابيتهم حتى أعادوها .. واصبحوا على مواقفهم ..

« وأقبلت الرّجالة مع الفيلة يحمونها .. أن تُقطع وُضُنُها ..

ومع الرَّجـــالة فرسان يحمونهم ، فلم تنفر الخيل منهم كما كانت بالأمس .. لأنّ الفيل إذا كان وحده كان أوحش .. وإذا أطافوا به كان آنس ..

* وكان يوم عِماس من اوله إلى آخره شديداً ..

* العربُ والعجمُ فيه سواء ..

سعد يُخطط للقضاء على الفيلة ؟

(فلما رأى سعد .. الفيول قد فُرقت بين الكتائب ، وعادت لفعلهـــا ..

(ارسل إلى القعقاع .. وعاصم .. ابنيْ عمرو .. : اكفيـاني الأبيض ..

(وكانت كلّـها آلفة له ، وكان بازائها ..

(وقال لحمال والربيل : اكفياني الأجرب ، وكان بازائها ..

(فاخذ القعقاع وعاصم رمحين .. وتقدّما في خيل ورَجل[١] ..

---

(١) رجل : مشاة ..

(وفعل حمال والزّبيل مثل فعلهما ..

(فحمل القعقاع وعاصم .. فوضعا رمحَيْهما في عين الفيل الأبيض ..

(فنفض رأسه ، فطرح سائسه ، ودلى مشفره ..

(فضربه القعقاع .. فرمى به .. ووقع لجنبه ..

(وقتلوا مَنْ كان عليه !!

فرار الفيلة ..

(وحمل حمال والزّبيل – الأسديان – على الفيل الآخر ..

(فطعنه حمال في عينه ، فاقعى ، ثم استوى ..

(وضربه الزّبيل ، فأبان مشفره ..

(وبصر به سائسه .. فبقر انفه وجبينه بالطَّبرْزين « الفاس من السلاح » ..

(فأفلت الزّبيل جريحاً ..

(فبقي الفيل جريحاً ، متحيراً بين الصفين .

(كلما جاء صفّ المسلمين وخزوه .. وإذا أتى صفّ المشركين نخسوه !

(وولّى الفيل .. وكان يُدْعى الأجرب ..

(وقد عوّر حمالُ عينيْهِ .

(فالقى نفسه في العتيق .

(فاتبعته الفيلة ، فخرقت صف الأعاجم .. فعبرت في أثره .. فأتت المدائن في توابيتها .. وهلك مَنْ فيها !

(فلما ذهبت الفيلة .. وخلص المسلمون والفُرس .. ومال الظل ..

(تزاحف المسلمون .. فاجتلدوا حتى أمسوا .. وهم على السواء ..

(فلما أمسى الناس ، اشتد القتال ، وصبر الفريقان ..

(فخرجا على السواء !

ليلة الهرير ..

أو ..

كيف كان النصر !؟

قيل :

إنمـــا سُميت بذلك لتركهم الكلام .. إنما كانوا يهرون هريراً !!

(وأرسل سعد .. طُلَيحة وعَمراً .. ليلة الهرير إلى مخـــاضة اسفل العسكر ليقوموا عليها .. خشية أن يأتيه القوم منها ..

(فلما أتياها قال طليحة : لو خُضنا وأتينا الأعــاجم من خلفهم ؟

(قال عمرو : بل نعبر أسفل ..

(فـــافترقا .. واخذ طليحة وراء العسكر .. وكبر ثلاث تكبيرات ، ثم ذهب وقد ارتاع اهلُ فارس .. وتعجب المسلمون ، وطلبه الاعاجمُ فلم يُدركوه !

(واما عمرو فإنه أغار اسفل المخاضة ورجع !

سعد يقول : فاذا كبرتُ ثلاثاً فاحملوا ؟

(وقال سعد :

(.. فإذا كبرتُ ثلاثاً فاحملوا ..

(وكبر واحدةً .. فلحقهم أسد ..

(فقال : اللهم اغفرْها لهم وانصرْهم ..

(ثم حملت النّخَع ، فقال : اللهم اغفرْها لهم وانصرْهم ..

(ثم حملت بَجيلة ، فقال : اللهم اغفرْها لهم وانصرْهم .

(ثم حملت كندة فقال : اللهم اغفرْها لهم وانصرهم !

وبات سعد بليلة .. لم يبت بمثلها ؟

(ثم زحف الرؤساء .. ورحا الحرب تدور على القعقاع ..

(وتقدّم حنظلة بن الربيع ، وأمراء الأعشار ، وطليحة ،

وغالب ، وحمال ، واهل النجـدات ..

(ولما كبّر الثالثة .. لحق الناس بعضهم بعضاً ، وخـالطوا القوم ..

(واستقبلوا الليل استقبالاً ..

(بعدما صلوا العشاء ..

(وكان صليل الحديد فيهـا ، كصوت القُيُون .. ليلتهم إلى الصباح !

(وافرغ الله الصبر عليهم افراغاً ..

(وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها !

(ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قط

(وانقطعت الأخبار والأصوات ، عن سعد ورستم

(واقبل سعد على الدعاء .

(وأصبح الناس ليلة الهرير – وتسمّى ليلة القادسية من بين تلك الليالي – وهم حسرى ، لم يُغمّضوا ليلتهم كلها !

القعقاع يقول :

اصبروا ساعة واحملوا ؟

(فسار القعقاع في الناس فقال :

(إنّ الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ..

(فاصبروا ساعة واحملوا ..

(فإن النصر مع الصبر !

(فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء ..

(وصمدوا لرستم ، حتى خـــالطوا الذين دونه مع الصبح ..

(فلما رأت ذلك القبائل قام فيها رؤساؤهم وقالوا : لا يكونن هؤلاء أجد في أمر الله منكم .. ولا هؤلاء ـ يعني الفُرس ـ أجرأ على الموت منـكم ..

(فحملوا فيما يليهم ، وخـــالطوا مَنْ بازائهم ..

(فاقتتلوا حتى قام قائم الظهيرة !

قتلتُ رستم .. وربِّ الكعبة ؟

(فكان أوّل مَنْ زال .. الفيرزان والهُرمُزان ، فتأخرا .. وثبتا حيث انتهيا ..

(وانفرج القلبُ ، وركد عليهم النقعُ ..

(وهبّت ريح عــاصف ، فقلعت طيارة رستم عن سريره .. فهوت في العتيـق ، وهي دَبور ..

(ومال الغبار عليهم .

(وانتهى القعقاع ومَنْ معه إلى السرير فعثروا به ..

(وقد قام رستم عنه حين أطارت الريحُ الطيارة ، إلى بغـال قد قدمت عليه بمال فهي واقفة ..

(فاستظلّ في ظلّ بغل وحمْـله ..

(وضرب هلال بن علقمة الحمل الذي تحتــه رستم ، فقطع حباله ، ووقع عليه أحــد العِدلين .. ولا يراه هلال ولا يشعر به !

(فأزال عن ظهره فقاراً .

(وضربه هلال ضربة فنفحت مسكاً .

(ومضى رستم نحو العتيق ، فرمى بنفسه فيه ..

(واقتحمه هلال عليه !

(وأخذ برجليه .

(ثم خرج به ..

(فضرب جبينه بالسيف ، حتى قتله !

(ثمّ القاه بين أرجل البغال !

(ثم صعد السرير وقال:

(قَتَلْتُ رستم ، وربِّ الكعبة !

(إليّ .. إليّ !

(فأطافوا به ، وكبّروا

(فنفّله سعد ، سَلَبه ، وكان قد اصابه الماء ، ولم يظفر بقلنسوته ولو ظفر بها لكانت قيمتها مائة الف !

رواية اخرى

في مصرع رستم ؟

وقيل :

(إنّ هلالاً لما قصد رستم ، رماه رستم بنشّابة أثبت قدمه بالركاب ..

(فحمل عليه هلال ، فضربه فقتله ..

(ثم احتزّ رأسه ، وعلّقه ، ونادى :

(قتلتُ رستم !

وانهزمت جيوش يزدجرد ؟

ووهنت قوة الفُرس ..

وحاول الجالينوس – أحد قوادهم – أن يعبر بهم النهر ..

« لكن الرَدْم انهار بهم في النهر المتدافع التيار ..

« فغرق بانهياره ثلاثون الف فارس ، مقترنين بالأصفاد !

« وكذلك انهزمت جيوش يزدجرد شر هزيمة ، وانطلقت فلولهم يولون الأدبار !

« واندفع المسلمون يتعقبون الفارين ، ويجهزون عليهم » !!

*

وانتهت معركة القادسية العظمى ..

وكانت نتيجتها الحتمية .. كسائر المعارك التي خاضها المسلمون مع أعدائهم ..

نصراً للحق، وهزيمة للباطل ..

واستشهد من المسلمين، ثمانية آلاف وخمسمائة !

وانتصر الحقّ نصراً ساحقاً ..

وانفتحت له بعد ذلك الامبراطورية الفارسية .. يتبوأ منهـا حيث يشاء !

وكان سَعْدِ بن أبي وقّـاص .. على رأس تلك المعركة الفاصلة ..

كان قائدها العام !

هلا أخبرتني ...

رحمك الله ...

انك امير المؤمنين .؟!

اين عُمر ؟

أين كان ابن الخطاب ، والمعركة تدور رحاها ، والدماء تسيل ، والسيوف تصلصل ؟

هل كان يتمتم بتعاويذ يرتلها ، ويرفع يديه بدعوات يرسلها .. ثم يقف عنـد ذلك ؟

كلا .. فهو الذي وضع الخطة ، وجمع لها الرجال ، وحشد لها الحشود ، ثم ارسلهم تباعاً إلى ساحة المعركة .

كان عمر قلب المعركة الخافق ، ودمها الدافق ، يخرج كل يوم إلى خارج المدينة حتى الظهر ، يتنسم أخبارها ..

وإنه ليسير يوماً ، إذ لقيه راكب على ناقة ، عرف حين سأله أنه مقبل من هناك ..

فقال له : يا عبد الله حدثني .

قال الرجل : هزم الله المشركين .

وجعل عمر يخب معه ، يسأله ، والراكب يحدثه ، وهو على ناقته لا يعرفه .

وكان هذا الراكب ، رسول سعد بن أبي وقّاص .. إلى امير المؤمنين !

وكان يحمل رسالة سعد إلى عمر بالفتح ، وبعدة من أصيب من المسلمين ، وأسماء من عرف منهم .

فلما دخل الرجلان المدينة ، وسلم الناس على عمر بإمـــارة المؤمنين ..

قال الرجل : هلا أخبرتني رحمك الله أنك أمير المؤمنين ؟

واجابه عمر في بساطة : لا باس عليك يا أخي !

وتناول منه كتاب سعد ، وقرأه على الناس !

يا أيتها الدنيا تعالي واسمعي ..

هذا عمر القائد الأعلى للجيش الظافر ، يسير على قدميه ، وجندي عادي يركب إلى جواره .

فهل في الدنيا مثل عمر ؟

عمر يتطور مالياً ؟

ماذا فعل سعد فيما أفاء الله عليه من الغنائم في تلك المعركة العظمى ؟

قسمه في الناس ، فكان عطاء الفارس ستة آلاف ، والراجل الفين ..

ثم فضل اهل البلاد ، فزاد كل واحد منهم خمسمائة .

مع ذلك بقي من الفيء شيء كثير غير الخمس الذي نحّاه سعد ، ليبعث به إلى المدينة .

وكتب سعد إلى عمر بما فعل ، وساله عما يفعل بما بقي عنده ؟

فكتب عمر اليه :

« ان ردّ على المسلمين الخمس ، واعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقعة » .

ونفذ سعد أمر عمر .. فبقي لديه ما اضطره أن يبعث إلى عمر

يسأله ما يفعل به .

وأمر عمر أن يوزّع على حَمَلة القرآن .

فما هي الفلسفة التي تستنبط من ذلك ؟

إن عمر يتطور تفكيره في الناحية المالية تطوراً خطيراً .. فمن المعلوم أن الغنائم توزع أربعة أخماسها على المحاربين ، والخمس الباقي يرد إلى بيت المال ليوزعه أمير المؤمنين في الأوجه التي نصت عليها النصوص القرآنية .

فما الذي جعل عمر ، يخرج على المألوف ، ويأمر إبن أبي وقاص بتوزيع الخمس أيضاً على المحاربين ؟

ما هذا التطور العجيب ؟

إن له دلالة واحدة ..

ان الحاكم له أن ينظر في التطبيق إلى المصلحة العامة للجماهير ، بحيث لا يخرج عما شرعه الله .

وشريعة الله هنا أن الخمس يرد إلى بيت المال ..

ورأى عمر أن يرد إلى المحاربين .. فهل خرج عمر عن شريعة الله ؟

كلا .. وحاشا .. وإنما فهم من النصوص فهماً عالياً ، وافقاً

واسعاً ..

فهم أن الخمس للحاكم يوزعه كيف يشاء ، وقد رأى الحاكم الذي هو عمر ، أن يرده في المقاتلين ، حيث كثرت الأموال التي ترد إلى الخليفة ، فلم يعد بحـــاجة إلى مزيد .

فما معنى هذا ؟

معناه أن عمر يعمل على تفتيت رؤوس الأموال ، وتوزيعهـا على أكبر عدد ممكن من الجماهير .

فلو قلنا ان الذين تبقوا من المسلمين بعد معركة القـــادسية ٣٢٥٠٠ بعد حذف الذين استشهـدوا ، وان الخمس سيوزع على هؤلاء جميعاً ..

فمعنى هذا أن عدداً كبيراً من الشعب سيقتسم تلك الأموال .

وهكذا كان عمر رجل تطور إلى أبعد آماد التطور .

وكان ينظر إلى الشريعة على أنها تدور حيث توجـد المصلحة ، ولا ينظر اليها على أنها مجرد قيود وسدود في وجه البشر ، كما يفهم بعض مسلمي هـذا الزمان !

عمر ...

يأمر سعداً ...

بفتح المدائن ؟ !

لمـــا

فرغ سعد من أمر القادسية ..

• اقام بها بعد الفتح شهرين ..

• وكاتب عمر ، فيما يفعل ..

• فكتب اليـــه عمر ، يامره بالمسير إلى المدائن !

• وأن يخلّف النساء والعيال بالعتيق .

• وأن يجعل معهم جنداً كثيفـاً ..

• وأن يشركهم في كلّ مغنم ، مـــا داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم ..

• ففعل ذلك ..

• وسار من القادسيّة ، لأيام بقين من شوال .

• وكلّ النـاس مؤد ، مذ نقل الله اليهم ما كان في عسكر

الفرس !

الله اكبر .. ابيض كسرى ؟

« ثم إنّ سعداً ، قـــدّم زُهْرة إلى بَهُرَسير ، فمضى في المقدّمـات ..

« فتلقاه شيرازاد ـ دهقان ساباط ـ بالصلح ، فأرسله إلى سعد ، فصالحه على تادية الجزية ..

« ولقي زُهْرة كتيبة بنت كسرى ـ التي تُدْعى بوران ـ

« وكانوا يحلفون كلّ يوم أن لا يزول مُلك فارس ما عشنا ..

« فهزمهم !

« وقتل هاشمُ بن عُتبة ـ وهو ابن أخي سعد ـ المقرّط ـ وهو أسد كان لكسرى قد الفه ـ

« فقبّل سعد رأس هاشم

« وقبّل هاشم قدم سعد

• وأرسله سعد في المقدّمة إلى بَهُرَسير ..

• فنزل إلى المظلم وقرأ :

﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ ..

• ثم ارتحل فنزل على بَهُرَسير ..

• ووصلها سعد ، والمسلمون .. فرأوا الإيوان !

فقال ضرار بن الخطّاب:

(الله اكبر ! ابيض كسرى !. هذا ما وعد الله ورسوله) !

• وكبّر .. وكبر الناسُ معه !

• فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا !

• ثم نزلوا على المدينة ، وكان نزولهم عليها في ذي الحجّة ..

فتح المدائن الغربية ..

وهي بهُرَسير ؟

« ثم دخلت سنة ست عشرة ..

« في هذه السنة ، في صفر . دخل المسلمون بَهُرَسير ..

« وكان سعد محـــاصراً لها ..

« وأرسل الخيول ، فأغارت على مَن ليس له عهد ، فأصابوا مائة الف فلاّح ..

« فـــأصاب كلّ واحد منهم فلاّحاً .. لأن كل المسلمين كان فارساً ..

« فارسل سعد إلى عمر يستأذنه ..

« فاجابه : إنّ مَنْ جاءكم من الفلاحين ممن لم يعينوا عليكم فهو أمانهم .. ومَنْ هرب فادركتموه فشأنكم به .

« فخلى سعد عنهم ، وأرسل إلى الدهاقين ودعاهم إلى الاسلام ، أو الجزية ، ولهم الذمة ..

« فتراجعوا ، ولم يدخل في ذلك ما كان لآل كسرى ..

« فلم يبقَ في غربيّ دجلة إلى أرض العرب سواديّ ، إلاّ أمن واغتبط بمُلك الإسلام !

« وأقاموا على بَهُرَسير شهرَين ، يرمونهم بالمجانيق ، ويدبّون اليهم بالدبابات ، ويقاتلونهم بكل عُدّة ..

« ونصبوا عليها عشرين منجنيقاً فشغلوهم بهـا ..

« واشتدّ الحصار بأهل المدائن الغربية ، حتى أكلوا السنانير والكلاب ، وصبروا من شدّة الحصار على أمر عظيم !

هل لكم إلى المصالحة ؟

« فبينا هم يحاصرونهم إذ أشرف عليهم رسول الملك فقال :

« الملك يقول لكم : هل لكم إلى المصالحة ؟ على أن لنا ما يلينا من دجلة إلى جبلنا ، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم ؟ أما شبعتم ؟ لا أشبع الله بطونكم !

« فقال لهم أبو مُفَزِّر الأسود بن قُطبة ــ وقد أنطقه الله تعالى بما لا يدري ما هو ولا من معه ؟

« فرجع الرّجل ، فقطعوا دجلة إلى المدائن الشرقية التي فيها الايوان ..

« فقال له مَن معه : يا أبا مُفَزِّر ، ما قلتَ له ؟

« قال : والذي بعث محمداً بالحق .. ما أدري ، وأنا ارجو أن أكون قد نطقتُ بالذي هو خيرٌ !

« وساله سعد والناس عما قال ، فلم يعلم !

سعد يأمر بالزحف ؟

« فنادى سعد في النـاس ..

« فنهدوا اليهم ..

« فما ظهر على المدينة أحد ، ولا خرج رجل ، إلا رجل ينادي بالأمـــان !

« فآمنوه !

« فقال لهم : ما بقي بالمدينة مَن يمنعكم !

« فدخلوا ، فما وجدوا فيها شيئاً ، ولا أحـــداً .. إلا أسارى

وذلك الرجل !

« فسألوه : لأي شيء هربوا ؟

« فقال : بعث الملك اليكم يعرض عليكم الصلح ، فأجبتموه أنّه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبداً ، حتى نأكل عسل أفريدون بأترج كوثى !

« فقال الملك : يا ويلتيه !. إنّ الملائكة تتكلم على ألسنتهم .. تردّ علينا !

« فساروا إلى المدينة القصوى .. فلما دخلها المسلمون أنزلهم سعد المنازل ..

« وأرادوا العبور إلى المدائن ، فوجدوا المعابر قد أخذوها !

★

اقول :

كانت المدائن ، عاصمة الأكاسرة ، وفيها إيوان كسرى الذي تغنى بعظمته الشعراء ..

وكانت المدائن عاصمة الامبراطورية الفارسية .. مدينتين .. أو حيّين عظيمين .. على ضفّتيْ نهر دجلة ..

على الضفة الشرقية المدائن الشرقية .. وهي التي فيها الايوان ، وعلى الضفة الغربية المدائن الغربية .. وهي التي فتحها سعد .. حتى الآن ..

ووقف القائد العام ، والفاتح العظيم .. يتأمل ابيض كسرى ، يتلألأ على الضفة الشرقية من دجلة .. وبدأ يُخطط لعبور النهر العظيم ، إلى المدائن الشرقية ، ليتمّ ما بدأ ، ويُنفّذ أمر أمير المؤمنين عُمر ، بفتح المدائن ..

ومتى سقطت المدائن .. تهاوت أجزاء الامبراطورية كلها من بعد سقوطها تباعاً !

هناك في المدينة ، أسدٌ رابض .. اسمه عُمَر !

وها هنا في المدائن أسدٌ .. قائم .. يُنَفّذ أوامر عُمَر !

فتح المدائن

التي فيها ايوان كسرى ؟

(وكان فتحها في صفر أيضاً ، سنة ستّ عشرة ..

(واقام سعد بِبَهُرَسير اياماً من صفر .

(فاتاه عِلْجٌ فدله على مخاضة تخاض إلى صلب الفُرس ..

(فـأَبى ، وتردّد عن ذلك ..

(وقحمهم المدّ .. وكانت السنة كثيرة المدود ، ودجـلة تقذف بالزبـد ..

(فأتاه عِلجٌ فقال : ما يقيمك ؟ لا ياتي عليك ثلاثة حتى يذهب يزدجرد بكلّ شيء في المدائن !

(فهيّجه ذلك على العبور !

سعد يُقرر عبور دجلة ؟

(ورأوا رؤيا .. أنّ خيول المسلمين اقتحمت دجلة .. فعبرت ..

(فعزم سعد لتأويل الرؤيا ..

(فجمع الناسَ ..

(فحمد الله ، واثنى عليه .. ثمّ قال :

(إنّ عدوّكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ..

(فلا تخلصون اليه معه ، ويخلصون اليكم إذا شاؤوا في سفنهم ، فينا وشونكم .

(وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتَوا منه ..

(قد كفاكم اهل الأيام ، وعطلوا ثغورهم ..

(وقد رأيت من الرأي ان تجاهدوا العدو ، قبل ان تحصدكم الدنيا ..

« ألا إني قد عزمتُ على قطع هذا البحر اليهم !

« فقالوا جميعاً : عزم اللهُ لنا ولك على الرشد ، فافعلْ !

فرسان الطليعة !

« فندب الناس إلى العبور وقال :

« — من يبدأ ، ويحمي لنا الفِراض ، حتى تتلاحق به الناس ، لكيلا يمنعوهم من العبور ؟

« فانتدب له عاصم بن عمرو ، ذو البأس ، في ستمائة من أهل النجدات ..

« فاستعمل عليهم عاصماً ..

« فقدمهم عاصم ، في ستين فارساً ..

« وجعلهم على خيل ذكور وإناث .. ليكون أسلس لسباحة الخيل ..

« ثم اقتحموا دجلة ..

« فلما رآهم الأعاجم ، وما صنعوا ..

« أخرجوا للخيل التي تقدّمت مثلها ، فاقتحموا عليهم

دجلة ..

« فلقوا عاصم وقد دنا من الفِراض ..

« فقال عاصم : الرماح ، الرماح !! أشرعوها .. وتوخوا العيون !

« فالتقوا ، فاطعنوا ..

« وتوخى المسلمون عيونهم فولّوا !

« ولحقهم المسلمون .. فقتلوا اكثرهم !

« ومن نجا منهم صار أعور من الطعن !

« وتلاحق الستمائة بالستين غير متعبين ..

سعد يزحف فوق الماء ؟

« ولما رأى سعد عاصماً على الفِراض ، قد منعها ، أذن للناس في الاقتحام .. وقال :

« قولوا .. نستعين بالله ، ونتوكل عليه ..

« حسبنا الله ، ونعم الوكيل ..

« واللهِ .. لينصرنّ اللهُ وليهُ .

« وليُظهرنّ دينه ..

« وليهزمنّ عدوّه ..

« لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم !

« وتلاحق الناسُ في دجلة !

« وإنهم يتحدثون كما يتحدثون في البرّ !

« وطبّقوا دجلة ، حتى ما يُرى من الشاطىء شيء !

الصلاقان .. يتناجيان !!

« وكان الذي يساير سعداً ، سلمان الفارسي ..

« فعامت بهم خيولهم ..

« وسعد يقول :

« حسبنا الله ونِعمَ الوكيل .. واللهِ لينصرنّ اللهُ وليه .. وليُظهرنّ دينه .. وليهزمنّ عدوّه .. إن لم يكن في الجيش بغيّ

أو ذنوب تغلب الحسنات ..

« فقـــال له سلمان :

« الاسلام جديد ..

« ذُللت لهم البحور .. كما ذُلّل لهم البرّ ..

« أمَا والذي نفس سلمان بيده .. ليخرُجنّ منه افواجاً ..
كما دخلوا فيه أفواجاً !!

« فخرجوا منه ، كما قال سلمان .. لم يفقدوا شيئاً ..!

وخرج الناس سالمين

« إلا ان مالك بن عامر العنبريّ ، سقط منه قدح ، فذهبت به جرية الماء ..

« فقال له الذي يسايره مُعيراً له : أصابه القدر فطاح !

« فقال : والله إني لعلى حالة .. ما كان الله ليسلبني قدحي من بين العسكرين ..

« فلما عبروا ألقته الريح إلى الشاطئ .. فتناوله بعضُ الناس ،

وعرفه صاحبه فأخذه !

« ولم يغرق منهم أحد .. غير أنّ رجلاً من بارق يُدْعى غرقدة .. زال عن ظهر فرس له أشقر ، فثنى القعقاع عنان فرسه اليه ، فاخذ بيده ، فاخرجه سالماً ..

« وخرج الناس سالمين ، وخيلهم تنفض اعرافها ..

*

اقول :

مشاهد ليس كمِثْلِها مشاهد ..

عجائب ليس كمِثْلِها عجائب ..

أترك للقارىء حرية التفكير .. ليتذوق بنفسه ما شاء من آيات الله ، التي تجلت في هؤلاء العظماء ..

سعد بن ابي وقاص ..

يدخل ..

ايوان كسرى ؟!

فلما

رأى الفُرس ذلك ..

(وأتاهم أمر لم يكن في حسابهم ..

(خرجوا هاربين نحو حُلوان .

(وكان يزدجرد قد قدّم عياله إلى حُلوان قبل ذلك ..

(وخلف مهران الرازي ، والنخيرخان ..

(وكان على بيت المال بالنهروان ..

(وخرجوا معهم بما قدروا عليه من خير متاعهم وخفيفه ..

(وما قدروا عليه من بيت المال ، وبالنساء والذراري ..

(وتركوا في الخزائن من الثياب والمتاع والآنية والفصوص والألطاف ما لا يُدرى قيمته ..

(وخلفوا ما كانوا أعدّوا للحصار من البقر والغنم والأطعمة .

٣٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠

(وكان في بيت المال ..

(ثلاثة آلاف .. الف ، الف ، الف ، ثلاث مرّات ..

(اخذ منها رستم عند مسيره إلى القادسية النصف ، وبقي النصف .

كتائب الاسلام في المدائن ؟

(وكان أوّل من دخل المدائن ، كتيبة الأهوال ، وهي كتيبة عاصم بن عمرو ..

(ثم كتيبة الخرساء ، وهي كتيبة القعقاع بن عمرو ..

(فاخذوا في سككها ، لا يلقون فيها أحداً يخشونه ، إلاُ مَن كان في القصر الأبيض ..

(فاحاطوا بهم ودعوهم فاستجابوا على تأدية الجزية والذمة .

(فتراجع اليهم أهل المدائن ، على مثل عهدهم ، ليس في ذلك ما كان لآل كسرى .

سعد في القصر الابيض !

(ونزل سعد القصر الأبيض .

(وسرّح سعدٌ ، زُهْرَةَ في آثارهم إلى النهروان ، ومقدار ذلك من كل جهة ..

(وكان سلمان الفارسيّ ، رائد المسلمين وداعيتهم ، دعا أهل بُهُرَسير ثلاثاً ، واهل القصر الأبيض ثلاثاً

سعد يتخذ ايوان كسرى مصلى ؟!

(واتخذ سعد ، إيوان كسرى ، مصلى ..

(ولم يغير ما فيه من التماثيل .

(ولم يكن بالمدائن اعجب من عبور الماء ..

سعد يصلي في الايوان

صلاة الفتح !

(ولما دخل سعد الإيوان قرأ :

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ ﴾

إلى قوله :

﴿ قَوْماً آخَرِينَ . ﴾ ..

(وصلى فيه صلاة الفتح ، ثماني ركعات ، لا يفصل بينهنّ ، ولا يصلي جماعة ..

(وأَتَمَّ الصلاة ، لأنه نوى الاقامة ..

(وكانت أول جُمعة بالعراق .

(وجُمّعت بالمدائن ، في صفر ، بسنة ستّ عشرة ..

★

اقول :

هـا هو العملاق الفاتح ، باسم الله ، المدائن ، عـاصمة الامبراطورية الفارسية ..

ها هو في إيوان كسرى ، يتبوأ منه حيث يشاء ..

بينما الامبراطـور يزدجرد يلتمس المهرب ، ويبحث عن الفرار ..

ها هو سعُد يجلس على عرش الأكاسرة العتيد

ها هو يتخذ من الايوان مصلى

وها هو يستفتح بصلاة الفتح ، كما تعلّم من سُنّة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم

كيف كانت مشاعر سعد ، في تلك اللحظات ؟

أم كيف كان احساسه بنعمة الله عليه ، وعلى الفاتحين من حوله ؟

سعد ...

اميراً على العراق ...

واماماً ؟!

قال ابن الاثير ..

عملاق التاريخ الاسلامي :

كان سعد قد جعل على الأقباض عمرو بن عمرو بن مُقرّن ..

وعلى القسمة .. سلمان بن ربيعة الباهليّ ..

فجمع ما في القصر والإيوان والدُّور ..

وأحصى ما يأتيه به الطلب ..

وكان أهل المدائن قد نهبوها عند الهزيمة ، وهربوا في كلّ وجه ..

فما أفلت أحد منهم بشيء إلاّ أدركهم الطلب .. فأخذوا ما معهم !!

ورأوا بالمدائن قباباً تركية مملوءة سلالاً مختومة برصاص .. فحسبوها طعاماً ..

فإذا فيها آنية الذهب والفضة !!

وكان الرجل يطوف ليبيع الذهب بالفضة متماثلين !

إنّ لهذا البغل لشأناً ؟!

وادرك الطلب مع زُهْرة جماعة من الفُرس ، على جسر النهروان ، فازدحموا عليه ..

فوقع منهم بغل في الماء ، فعجلوا وكبّوا عليه ..

فقال بعض المسلمين : إنّ لهذا البغل لشأناً !

فجالدهم المسلمون عليه ، حتى أخذوه ، وفيه حلية كسرى .. ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التي فيها الجوهر ، وكان يجلس فيها للمباهاة !!

*

تاج كسرى مرصعاً !

ولحق الكلَجُ بغلَين ، معهما فارسيّان ، فقتلهما ، وأخذ البغلين ، فابلغهما صاحب الأقباض ..

وهو يكتب ما يأتيه به الرجال ، فقال له : قفْ حتى ننظر ما معك !

فحطّ عنهما ..

فإذا سَفطان فيهما تاج كسرى مرصعاً !

وكان لا يحمله إلا الأسطوانيّان ، وفيه الجوهر !

وعلى البغل الآخر سَفَطان فيهما ثياب كسرى التي كان يلبس من الديباج المنسوج بالذهب ، المنظوم بالجوهر ، وغير الديباج منسوجاً منظوماً !

القعقاع يختار سيف هِرَقْل !

وأدرك القعقاعُ بن عمرو فارسيّا ، فقتله ، واخذ منه عيبتَين ..

في إحداهما خمسة أسياف ..

وفي الأخرى ستّة أسياف ، وأدراع ..

منها درع كسرى ، ومغافره !

ودرع هِرَقْل ..

ودرع خاقان ، ملك الترك ..

ودرع داهر ، ملك الهند ..

ودرع بهرام جوبين ..

ودرع سياوُخش ..

ودرع النعمان ..

استلبها الفُرس أيام غزاهم خاقان ، وهرقل ، وداهر .

وأما النعمان وجوبين، فحين هربا من كسرى..

والسيوف، من سيوف كسرى، وهرمز، وقُباذ، وفيروز، وهرقل، وخاقان، وداهر، وبهرام، وسياوخْش، والنعمان.

فاحضر القعقاعُ الجميع عند سعد.

فاختار سيف هِرَقْل!

سعد يبعث بتاج كسرى إلى عُمر؟

وأعطاه درع بهرام..

ونفّل سائرها في الخرساء.

إلاّ سيف كسرى والنعمان

بعث بهما إلى عمر بن الخطّاب، لتسمع العرب بذلك، وحسبوهما في الاخماس،

وبعثوا بتاج كسرى، وحليته، وثيابه، إلى عمر، ليراه المسلمون؟

حصان من ذهب .. وناقة من فضة ؟

وادرك عِصْمةُ بن خالد الضّبيّ ، رجلين معهما حماران

فقتل أحدهمــا وهرب الآخر

واخذ الحمارَين ، فاتى بهما صاحب الأقباض

فإذا على احدهما سَفَطان

في أحدهما فرس من ذهب ، بسرج من فضة ، وعلى ثغره ولَبَبه الياقوت والزمرد المنظوم على الفضة ، ولجام كذلك

وفارس من فضة ، مكلل بالجوهر

وفي الآخر ، ناقة من فضة ، عليها شليل (مسح من صوف يُجعل على عجز البعير) من ذهب ، وبطان من ذهب ، ولها زمــام من ذهب

وكلّ ذلك منظوم بالياقوت

وعليها رجل من ذهب ، مكلل بالجواهر

كان كسرى يضعهما على اسطوانتي التاج

سعد يقول : واللهِ .. انّ الجيش لذو امانة ؟

وأقبل رجل بحُقّ إلى صاحب الأقباض ، فقال هو والذين معه : ما رأينا مثل هذا قطُّ ، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه !

فقالوا : هل أخذتَ منه شيئاً ؟

فقال : والله لولا الله ما اتيتُكم به ..

فقالوا : مَن أنت ؟

فقال : والله لا أخبركم فتحمدوني ، ولكني أحمد الله ، وارضى بثوابه !

فاتبعوه رجلاً ، فسأل عنه .. فإذا هو عامر بن عبد قيس !

وقال سعد : واللهِ ، إنّ الجيش لذو أمانة .

ولولا ما سبق لأهل بدر ، لقلتُ إنهم على فضل اهل بدر !

لقد تتبعتُ منهم هناتٍ ما أحسبها من هؤلاء !

وقال جابر بن عبد الله : والذي لا إله إلا هو ، ما اطّلعنا على احد من أهل القادسية ، أنه يريد الدنيا مع الآخرة !

فلقد اتهمنا ثلاثة نفر .. فما رأينا كأمانتهم وزهدهم .. وهم : طُلَيْحة .. وعمرو بن معدي كرب .. وقيس بن المكشوح ..

عُمر يقول : انّ قوماً ادّوا هذا للذو امانة ؟

وقال عمر

لما قُدِم عليه بسيف كسرى ، ومنطقته ، وبزْبرجه :

« إنَ قوماً أدّوا هذا لذوو أمانة » !!

فقال عليّ

« إنك عففتَ .. فعفّت الرعيّة !! »

وكانوا ستين ألفاً ؟

فلما جُمعت الغنائم ..

قسم سعد الفيء بين الناس ..

بعدما خمسه ..

وكانوا ستين الفاً !

فأصاب الفارس اثنا عشر الفاً ..

وكلّهم كان فارساً !

ليس فيهم راجـل !

★

اقول :

فكر طويلاً في قوله :

« وكلهم كان فارساً » ؟!

كانوا ستين الفاً من الفرسان ؟

ها هنا عظمة شخصيات أصحاب رسولُ الله ، صلّى الله عليه وسلم .. ومَن تابعهم !

فرسان ؟

مقاتلون من أعلى طبقة ..

إما النصر ، وإما الشهادة ..

فكيف كانت شخصية سعد .. الذي كان يقود ستين الفاً من الفرسان ، منهم أربعمائة والف من فرسان الصحابة الأجلاء ؟

★

ونفّل من الأخماس في أهل البلاء ، وقسم المنازل بين الناس ..

وأحضر العيالات فأنزلهم الدُّور ..

فـــأقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جاولاء وحُلوان وتكريت والموصل ..

ثم تحولوا إلى الكوفة ..

سعد يرسل بساط الاكاسرة الى عُمر ؟

وأرسل سعد في الخمس كلّ شيء أراد أن يعجب منه العرب .

وما كان يعجبهم أن يقع ..

وأراد إخراج خمس القِطْف (او القطيف) فلم تعتدل قسمته ، وهو بهار كسرى .

فقال للمسلمين : هل تطيب أنفسكم عن اربعة أخماسه ينبعث به إلى عمر يضعه حيث يشاء ، فإنا لا نراه ينقسم ، وهو بيننا قليل ، وهو يقع من أهل المدينة موقعاً ؟

فقالوا : نعم ..

فبعثه إلى عمر .

اوصاف بساط كسرى !

والقِطف .. بساط واحد ..

طوله ستّون ذراعاً ..

وعرضه ستون ذراعاً ، مقدار جريب .

كانت الأكاسرة تُعدّه للشتاء ، إذا ذهبت الرياحين شربوا عليه ، فكأنهم في رياض ..

فيه طرق كالصور ..

وفيه فصوص كالأنهار ، أرضها مذهبة ..

وخلال ذلك فصوص كالدُّرّ ..

وفي حافاته كالأرض المزروعة .. والأرض المبقلة بالنبـــات في الربيع ، والورق من الحرير ، على قضبان الذهب ..

وزَهره الذهب والفضة .

وثمره الجوهر .

وأشباه ذلك ، وكانت العرب تسمّيه القِطف .

عُمر يقول : اشيروا عليَّ ..
في هذا القطف ..

فلما قدمت الأخماس على عمر ، نفّل منها مَن غاب ومن شهد من أهل البلاء ..

ثم قسم الخمس في مواضعه ..

ثم قال : اشيروا عليّ في هذا القِطف ؟

فمن بين مشير بقبضه ، وآخر مفوّض اليه ..

فقال له عليّ : لم يجعل الله علمك جهلا .. ويقينك شكاً ، إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيتَ فأمضيتَ ، أو لبست فأبليت ، أو أكلتَ فأفنيتَ ، وإنك إن تبقه على هذا اليومَ ، لم تعدم في غدٍ من يستحقّ به ما ليس له ..

فقال : صدقتني ونصحتني ..

فقطعه بينهم ..

فاصاب عليّاً قطعةٌ منه ، فباعها بعشرين الفاً ، وما هي باجود تلك القطع ..

وكان الذي سار بالأخماس بشير بن الخصاصيّة ..

وأثنى الناس على أهل القادسية ..

فقال عمر : اولئك أعيان العرب ..

عُمر يُوَلي سعداً امارة الحرب ..
وامارة الصلاة !

وولى عُمر بن الخطّاب ، سعد بن أبي وقّاص ..

صلاة ما غلب عليه ..

وحربه .

ووّلى الخراجَ ، النعمانَ ، وسُوَيداً ابني مُقرّن ..

سويداً على ما سقت الفرات ..

والنعمان على ما سقت دجلة ..

* * *

اقول :

حتى هنا من سيرة سعد بن أبي وقّاص ، يبلغ سعدٌ أعلى المناصب ..

فهو أمير الناس ، في صلاتهم ، وفي حربهم ..

وجمع صاحب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. سعْد ابن أبي وقّاص ، بين الامارتين .. إمامة الصلاة .. وإمارة الحرب ..

يصلي بصلاته ستون الفاً من الفرسان ..

وهُمْ بامره يُقاتلون ..

سعد ...

يواصل ...

النصر ؟!

ما زلنا

في سنة ست عشرة ..

وفي هذه السنة كانت وقعة جاولاء ..

وسببها أن الفُرس لمـــا انتهوا بعد الهرب من المدائن إلى جـاولاء ..

وافترقت الطرق بأهل أذربيجان والباب وأهل الجبـــال وفارس قالوا :

لو افترقتم لم تجتمعوا أبداً ، وهذا مكان يفرق بيننا ، فهلموا فلنجتمع للعرب به ولنقاتلهم ، فإن كانت لنا فهو الذي نحب .. وإن كانت الأخرى كنا قد قضينا الذي علينا .. وابلينا عذراً ..

فاحتفروا خندقاً ، واجتمعوا فيه على مِهران الرازي ..

وتقدّم يزدجرد إلى حُلوان ..

وأحاطوا خندقهم بحسك الحديد إلاّ طرقهم !

سعد يرسل الى عمر !

فبلغ ذلك سعداً ..

فارسل إلى عمر ..

فكتب اليه عمر :

« ان سرّحْ هاشم بن عُتبة الى جلولاء .. واجعلْ على مقدمته القعقاعَ بن عمرو .. وإن هزم الله الفُرس فاجعل القعقاع بين السواد والجبل .. وليكن الجند اثني عشر الفاً !!

ففعل سعدٌ ذلك !

معركة جلولاء !

وسار هاشم من المدائن ، بعد قسمة الغنيمة .

في اثني عشر الفاً ..

منهم وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب ..

فسار من المدائن ، فمرّ ببابل مهرُوذ ، فصالحه دهقانها ..

ثمّ مضى حتى قدم جاولاء ..

فحاصرهم في خنادقهم ، وأحاط بهم ..

وطاولهم الفُرس ، وجعلوا لا يخرجون إلا إذا أرادوا ..

وزاحفهم المسلمون نحو ثمانين يوماً ..

كلّ ذلك يُنصر المسلمون عليهم ..

وجعلت الأمداد ترد من يزدجرد إلى مهران .

وأمد سعد المسلمين ..

وخرجت الفرس وقد اختلفوا فاقتتلوا .

فأرسل الله عليهم الريح حتى أظلمت عليهم البلاد ، فتحاجزوا فسقط فرسانهم في الخندق ..

فجعلوا فيه طرقا مما يليهم ، يصعد منه خيلهم ، فافسدوا حصنهم ..

مائة ألف قتيل !

وبلغ ذلك المسلمين ، فنهضوا اليهم ..

وقاتلوهم قتالاً شديداً ..

لم يقتتلوا مثله ، ولا ليلة الهرير ، إلا أنه كان أعجل .

وانتهى القعقاع بن عمرو من الوجه الذي زحف فيه ، إلى باب خندقهم ، فاخذ به وأمر منادياً فنادى :

« يا معاشر المسلمين .. هذا اميركم قد دخل الخندق . وأخذ به .. فاقبلوا اليه .. ولا يمنعكم مَنْ بينكم وبينه من دخوله » !!

وإنما أمر بذلك ليقوّي المسلمين ..

فحملوا ، ولا يشكّون بأن هاشماً في الخندق .

فاذا هم بالقعقاع بن عمرو ، وقد أخذ به ..

فانهزم المشركون عن المحاربة يمنة ويسرة .

فهلكوا فيما أعدّوا من الحسك ..

فعُقرت دوابهم ، وعادوا رَجّالة ..

وأتبعهم المسلمون ، فلم يفلت منهم إلا مَن لا يُعَدُّ ..

« وقُتل يومئذ منهم مائة ألف !! »

فجللت القتلى المجال ، وما بين يديه ومـا خلفه !

فسُمِّيتْ « جلولاء » بمـا جلّلها من قتلاهم ، فهي جلولاء الوقيعة ..

كسرى يواصل الفرار !

ولما بلغت الهزيمة يزدجرد ، سار من حُلوان نحو الريّ ..

وقدم القعقاع حُلوان ، فنزلها في جند من الأمنـاء والحمراء ..

وكان فتح جلولاء ، في ذي القعدة ، سنة ست عشرة .

معركة حلوان !

ولما سار يزدجرد عن حلوان ، استخلف عليها خشرشنوم ..

فلما وصل القعقاع قصر شيرين ، خرج عليه خشرشنوم .. وقدم اليه الزينبي دهقان حلوان ..

فلقيه القعقاع ، فقتل الزينبي ، وهرب خشرشنوم ..

واستولى المسلمون على حلوان ..

وبقي القعقاع بها إلى أن تحول سعد إلى الكوفة ..

فلحقه القعقاع ، واستخلف على حلوان قباذ ، وكان أصله خراسانيا ..

عُمر يقول : اني آثرتُ
سلامة المسلمين على الانفال ؟

وكتبوا إلى عمر بالفتح ، وبنزول القعقاع حُلوان ، واستاذنوه في اتباعهم ..

فأبى ..

« وقال : لوددتُ أنّ بين السواد وبين الجبل سداً .. لا **يخلصون الينا ولا نخلص اليهم .. حسبنا من الريف السواد .. إني آثرت سلامة المسلمين على الانفال !! »**

وادرك القعقاع في اتباعه الفُرس مهران بخانقين فقتله ..

وأدرك الفيرزان ، فنزل وتوغل في الجبل فتحامى ..

وأصاب القعقاعُ سبايا فارسلهن إلى هاشم ، فقسمهنّ ..

وقسمت الغنيمة ، واصاب كلّ واحد من الفوارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب ..

وبعث سعدٌ بالأخماس إلى عُمر ..

عُمر .. يبكي !

فلما قدم الخمس على عمر قال :

« والله .. لا يُجنّه سقف حتى اقسمه ! »

فبات عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن الأرقم ، يحرسانه في المسجد ..

فلما اصبح ، جاء في الناس ، فكشف عنه ..

فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده وجوهره ، بكى ..

فقال له عبد الرحمن بن عوف :

« ما يُبكيك يا أميرَ المؤمنين ؟! فوالله إنّ هذا لموطن شكر ؟! »

فقال عمر

« والله ما ذلك يُبكيني ..

« وبالله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا ..

« ولا تحاسدوا إلا الذي الله بأسهم بينهم » !!

* * *

اقول :

إن سعداً يستأذن عُمر ، أن يواصل اقتحـــام ما تبقى من الامبراطورية الفـــارسية .

ولكن عمر يــــأبى ..

سعْدٌ أسدٌ يريد أن ينقضّ ..

إنه كما قـالوا عنه :

« الاسد عاديا » !!

وعُمر . ينظر إلى أفق بعيد ، باعتباره أمـير المؤمنين ..

سعد ..

أميراً على الكوفة ..

ثلاث سنين ونصفاً ؟!

نحن

في سنة سبع عشرة ..

في هذه السنة اختُطت الكوفة ..

وتحوّل سعد اليها من المدائن !

سبب بناء الكوفة ..

وكان سبب ذلك أنّ سعداً أرسل وفداً إلى عمر بهذه الفتوح المذكورة ..

فلما رآهم عمر ، سالهم عن تغير ألوانهم وحالهم .

« فقالوا : وخومة البلاد غيرتنا .. »

فامرهم عمر أن يرتادوا منزلاً ينزله الناس .

عُمر يكتب الى سعد !

وقيل : بل كتب حذيفة إلى عمر :

« إنّ العرب قد رقّت بطونها .. وجفّت أعضادها .. وتغيرت ألوانها .. »

وكان مع سعد ..

فكتب عمر إلى سعد :

« اخبرني ما الذي غير ألوان العرب ولحومهم ؟ . »

فكتب اليه سعد :

« إنّ الذي غيرهم وخومة البلاد .. وإن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان » ..

فكتب اليه عمر :

« أن ابعث سلمان .. وحُذيفة .. رائدَين .. فليرتادا منزلاً .. بريّا بحريّا .. ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر » !!

اختيار مكان الكوفة !

فارسلهما سعـــد .

فخرج سلمان حتى ياتي الأنبــار ، فسار في غربي الفرات ، لا يرضى شيئاً ، حتى أتي الكوفة ..

وسار حذيفة في شرقي الفرات ، لا يرضى شيئـــاً ، حتى أتى الكوفة .

وكلّ رمل وحصباء مختلطين فهو كوفة .

فأتيا عليها ، فاعجبتهما البقعة ، فنزلا ، فصلّيا .. ودَعوا الله تعالى أن يجعلها منزل الثبات ..

فلما رجعا إلى سعد بالخبر ..

وقدم كتاب عمر اليه أيضاً ..

كتب سعد إلى القعقاع بن عمرو .. وعبدالله بن المعتمّ ، أن يستخلفا على جندهما ، ويحضرا عنده ..

ففعلا ..

سعد يرتحل من المدائن ..

وينزل الكوفة !

فارتحل سعد من المدائن ..

حتى نزل الكوفة ، في المحرّم ، سنة سبع عشرة ..

وكان بين نزول الكوفة ووقعة القادسية ، سنة وشهران ..

ولما نزلها سعد كتب إلى عمر :

« إني قد نزلتُ بالكوفة منزلاً فيما بين الحيرة والفرات .. بريًا وبحريًا .. ينبت الحلفاء والنَّصي ..

« وخيرتُ المسلمين بينها وبين المدائن .. فمَن أعجبه المقام بالمدائن تركته فيها كالمسلحة .. »

ولما استقرّوا بها عرفوا أنفسهم ، ورجع اليهم ما كانوا فقدوا من قوّتهم ..

واستأذن أهل الكوفة في بنيان القصب ، واستأذن فيه أهل

البصرة أيضاً .

فكتب اليهم :

« إن العسكر أشد لحربكم .. واذكر لكم .. ومـــا احبّ أن اخالفكم !! »

بدء المباني بالكوفة !

فابتنى أهل المصرّين بالقصب ..

ثم إن الحريق وقع في الكوفة والبصرة ..

وكانت الكوفة أشد حريقاً في شوال ..

فبعث سعد نفراً منهم إلى عمر يستأذنه في البنيان باللّبن ..

« فقال : افعلوا ولا يزيدنّ أحدكم على ثلاثة أبيـات .. ولا تطاولوا في البنيان .. والزموا السُنّة تلزمكم الدولة .. »

فرجع القوم إلى الكوفة بذلك ..

وكتب عمر بمثل ذلك إلى البصرة ..

تخطيط الكوفة على أحدث طراز ؟

وكان على تنزيل (اسكان) الكوفة أبو هيّاج بن مالك .

وعلى تنزيل البصرة عاصم بن دُلَف .

وقدّر المناهج أربعين ذراعاً ..

وما بين ذلك عشرين ذراعاً ..

والأزقة سبع أذرع ..

والقطائع ستين ذراعاً .

وأول شيء خُطّ فيهما وبُني مسجداهما .

وقام في وسطهما رجل شديد النزع ، فرمى في كلّ جهة بسهم ، وأمر أن يبنى ما وراء ذلك ..

وبنى ظلّة في مقدمة مسجد الكوفة ، على أساطين رخام .. من بناء الأكاسرة في الحيرة ..

وجعلوا على الصحن خندقاً لئلا يقتحمه أحد ببنيـــان !!

قصر سعد بالكوفة ؟

وبنوا لسعد داراً بحياله ..

وهي قصر الكوفة (اليوم) ..

بناه روزبه .. من آجرّ بنيان الأكاسرة بالحيرة ..

وجعل الأسواق على شبه المساجد ، من سبق إلى مقعدٍ فهو له حتى يقوم منه إلى بيته .. أو يفرغ من بيعه !!

احرقوا باب قصر سعد !

وبلغ عمرَ أنّ سعداً قال ـ وقد سمع أصوات الناس من الأسواق : سكنوا عني الصُّويت !

وأنّ الناس يسمّونه « قصر سعدٍ » ..

فبعث محمد بن مَسْلمة إلى الكوفة ..

وأمره أن يحرق باب القصر .. ثم يرجع !

ففعل ..

فبلغ سعداً ذلك فقال :

« هذا رسول أرسل لهذا ! »

فاستدعـــاه سعد ..

فأبى أن يدخل اليه !!

فخرج اليه سعد .. وعرض عليه نفقة ..

فلم ياخذ .. وأبلغه كتاب عمر اليـــه :

« بلغني انـّك اتخذتَ قصرا .. جعلتَـــهُ حصناً .. ويسمّى قصر سعد .. بينك وبين النـّـــاس باب .. فليس بقصرك ولكنه قصر الخَبال ..

« انزل منه منزلاً ممّا يلي بيوت الأموال .. واغلقه ..

« والا تجعل على القصر باباً .. يمنع الناس من دخوله !!

فحلف له سعد ما قال الذي قالوا !

فرجع محمد .. فأبلغ ُعمر قول سعدٍ ..

فصدّقه !

ثغور الكوفة !

وكانت ثغور الكوفة أربعة ..

ُحلوان ، وعليها القعقاع .

وما سَبَذان ، وعليها ِضرار بن الخطّـــاب ..

وقَرْقيسيا ، وعليها عمر بن مـالك ..

والموصل ، وعليها عبدالله بن المعتم ..

وكان بها خلفاؤهم إذا غابوا عنها ..

وولى سعد الكوفة بعدما اختُطّت .. ثلاث سنين ونصفاً ..

سوى ما كان بالمدائن قبلهـــا !

عمر ...

اول من ابتكر ...

القوات سريعة الانتشار ؟!

مصيبتنا اليوم ..

جهلنا بعظمة تاريخنا .. وعظمة رجالنا السابقين !

إذا قرأنا ــ مثلاً ــ أن الولايات المتحدة الأمريكية ، أعدّت جيشاً مكوناً .. من قوات سريعة الانتشار .. مهمتها إذا هُدّدت المصالح الأمريكية في أي مكان من العالم .. سارعت هذه القوات فوراً .. إلى حماية ونجدة تلك الأماكن المهددة !

إذا سمعنا شيئاً من ذلك .. قلنا في بلاهة :

ما اعظم هذا .. وما اعجب ما يصنعون !!

وسوف يدهش العالم كله .. وعلى رأسه القوتان العُظميان .. إذا علموا أن أمير المؤمنين .. عمر بن الخطّـــاب .. هو اول من ابتكر نظام القوات سريعة الانتشار ..

وأوّل من استعملها فأحسن استعمالها ..

فكيف كان ذلك ؟!

أبو عُبيدة بن الجرّاح ..
يستغيث عُمر ؟

• في هـــذه السنة (سنة سبع عشرة) قصد الروم .. أبا عبيدة ابن الجرّاح .. ومن معه من المسلمين بحمص .

• وكان المهيّجَ للروم أهلُ الجزيرة ..

• فإنهم أرسلوا إلى ملكهم وبعثوه على إرسال الجنود إلى الشام ووعدوا من أنفسهم المعـاونة ..

• ففعل ذلك ..

• فلما سمع المسلمون باجتماعهم .. ضمّ أبو عبيدة اليه مسالحهم ، وعسكر بفِناء مدينة حمص ..

• وأقبل خالد من قنسرين اليهم ..

• فاستشارهم أبو عُبيدة في المنـــاجزة أو التحصين إلى مجيء الغياث ؟

• فأشار خالد بالمناجزة !

• وأشار سائرهم بالتحصين ومكاتبة عمر ..

• فاطاعهم وكتب إلى عمر بذلك !!

قوّات عُمر .. سريعة الانتشار !

• وكان عمر .. قد اتخذ في كلّ مصر .. خيولاً على قدره .. من فضول أموال المسلمين ..

• عُدّة ، لكون إن كان !

• فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس ..

• وكان القيّم عليها سلمان بن ربيعة الباهليّ ، ونفر من أهل الكوفة ..

• وفي كل مصر ، من الأمصار الثانية على قدره ..

• فإن تأتهم آتية ، ركبها الناس .. وساروا إلى أن يتجهّز الناس ؟!

*

ما هذا .. أيها الجاهلون بعظمة تاريخكم ؟

اليس هذا هو نظام القوات سريعة الانتشار ؟

في كل مصرٍ .. آلاف من الخيول وفرسانها ، إذا أُمرت .. .رعت لنجدة من يحتاج إلى نجدة !

الآن استبدلت الخيول بالطائرات الأسرع من الصوت ..

وكانت الخيول في عصر عُمر توازي القاذفات المقاتلات في عصرنا هذا !

فكيف أحسنَ عُمرُ استعمال قواته سريعة الانتشار ؟

عُمر يأمر سعداً ..
باغاثة أبي عبيدة فوراً ؟

« فلما سمع عمر الخبر ..

« كتب إلى سعد :

« أن اندب الناس .. مع القعقاع بن عمرو ..

« وسرّحهم من يومهم !

« فإنّ أبا عبيدة قد أحيط به !

« وكتب اليه ايضاً :

« **سرّحْ سُهَيل بن عديّ إلى الرّقة .. فان أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الرومَ على اهل حمص !!**

« وأمره ان يسرح عبدالله بن عتبان إلى نصيبين ..

« ثمّ ليقصد حرّان والرهاء ..

« وأن يسرّح الوليد بن عُقْبَة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ ..

« وأن يسرح عِياض بن غنم ..

« فان كان قتال فأمرُهم إلى عياض !

القعقاع في الطليعة !

« فمضى القعقـــاع في أربعة آلاف .. من يومهم إلى حمص !

« وخرج عيـاض بن غنم وأمراء الجزيرة .. واخـذوا طريق الجزيرة ..

« وتوجه كلّ أمير إلى الكورة التي أُمّـر عليها » !!

* * *

انظر .. أي عبقري كان عُمر ؟

وأي عقل كان عقل ذلك العملاق ؟

وأمير المؤمنين يخرج بنفسه مغيثاً لأبي عُبيدة ؟

• وخرج عمر ، من المدينة ..

• فأتى الجابية .

• لأبي عبيدة مغيثـاً !

• يريد حمص !

* * *

هو .. بنفسه .. على رأس جيش .. يتحرك لإغاثة أمين الأمة .

ما هذا ؟

هذه أمّـة بلغت أعلى أعالي الحياة ..

كلُّ الأمة تتحرك فوراً لانقاذ أبي عبيدة !

الرُّعب يزلزل الأعداء !

• ولما بلغ أهلَ الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص .. وهم معهم ، خبرُ الجنود الإسلامية ..

• تفرّقوا إلى بلادهم ، وفارقوا الروم

• فلما فارقوهم .. استشار أبو عبيدة .. خـالداً .. في الخروج إلى الروم ..

• فأشار به ..

• فخرج اليهم فقاتلهم ..

• ففتح اللهُ عليـه ..

جزى الله اهل الكوفة خيراً !

• وقدم القعقاع بن عمرو بعد الوقعة بثلاثة أيام ..

« فكتبوا إلى عمر بالفتح .. وبقدوم المدد عليهم .. والحُكم في ذلك ؟.

« فكتب اليهم :

« أن اشركوهم .. فانهم نفروا اليكم ..

« وانفرق لهم عدوّكم ..

« وقال :

« جزى الله أهل الكوفة خيرا ..

« يكفون حوزتهم ..

« ويُمدّون اهل الأمصار !!

« فلمـــــا فرغوا .. رجعوا » ..

عمر ..

يأمر سعداً ..

بفتح الجزيرة !؟

في

هذه السنة (سنة سبع عشرة) .. فتحت الجزيرة ..

« قد ذكرنا إرسال سعد العساكر إلى الجزيرة

« فخرج عياض بن غنم ومن معه ..

« فارسل سُهَيْلَ بن عديّ إلى الرَّقَة .. وقد ارفض أهل الجزيرة عن حمص إلى كورهم .. حين سمعوا بأهل الكوفة ..

« فنزل عليهم .. فاقام يحاصرهم حتى صالحوه ..

« فبعثوا في ذلك إلى عياض ، وهو في منزل وسط بين الجزيرة ، فقبل منهم وصالحهم ، وصاروا ذمةً ..

« وخرج عبد الله بن عِتبان على الموصل إلى نَصيبين ، فلقوه بالصلح .. وصنعوا كصنع أهل الرَّقة ..

« فكتبوا إلى عِياض .. فقبل منهم وعقد لهم ..

« وخرج الوليد بن عقبة .. فقدم على عرب الجزيرة .. فنهض معه مسلمهم وكافرهم .. إلا إياد بن نزار .. فـــانهم دخلوا ارض الروم .. فكتب الوليـــد بذلك إلى عمر .

« ولما أخذوا الرقّة ونصيبين ضمّ عياض اليه سُهيلاً وعبد الله وسار بالناس إلى حرّان ..

« فلما وصل أجابه أهلُها إلى الجزية ، فقبل منهم ..

« ثم إنّ عياضاً سرّح سُهيلاً وعبدالله إلى الرهاء ، فاجابوهما إلى الجزية ..

« فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحاً !

« ورجع سُهيل وعبدالله إلى الكوفة » !

وقيل :

« إنّ عمر كتب إلى سعد بن أبي وقاص .

« إذا فتح اللهُ الشام والعراق .. فابعثْ جنداً الى الجزيرة ..

« وامّرْ عليه خالد بن عُرْفُطة ..

« أوْ هاشم بن عُتبة ..

« او عِياض بن غَنْم ..

قـال سعد :

« ما اختر أمير المؤمنين عياضاً الا لأن له فيه هوىً ..

« وانا موليه ..

« فبعثه .. وبعث معه جيشـــاً فيه أبو موسى الأشعري ..

« وابنه عمر بن سعْد .. ليس له من الأمر شيء .. »

الخ ..

* * *

وهكذا تتوالى الفتوحات .. على يَدَيْ سعْد !

كلما أمره عُمر بأمر .. سارع إلى تنفيذه !

عمر ...

يعزل سعداً ...

عن الكوفة .؟!

المناصب

العليـــا في الدولة ..

دائماً وأبداً ، موضع القيل والقال ..

وعلى كلّ مَن ابتلى بشيء من هـذه المنـــاصب أن يكون مستعداً .. لأن يقرض القارضون عِرْضه وسلوكه .. مهما كان من النزاهة وحُسن الأخلاق !

هـذه ضريبة حتميـة مفروضة على رجال الحُكم والسياسة .. لا يستطيعون دفعها عن انفسهم ..

ذلك أن الانسان كلما ارتفع ، كلمـا كثر أعداؤه .. وازداد بـلاؤه ..

وها هو سعد بن أبي وقّاص .. صاحب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

وأحد السابقين إلى الإسلام ..

وفاتح الامبراطورية الفارسية ..

ها هو يُتّهم بالظّلم .. والعجز عن الجهاد ، وهو ما هو .. من عظيم الأخـلاق !

فكيف كان ذلك ..

وما هي القصة ؟

قال ابن الأثير :

« ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ..

« وفيها كانت وقعة نِهَاوَنْد ..

« وكان الذي هيّج أمر نهاوند أنّ المسلمين لمـــا خلصوا جندَ العلاء من بلاد فارس .. وفتحوا الاهواز ..

« كاتبت الفرسُ ملكهم وهو بمَرْو .. فحركوه ..

« وكاتب الملوك بين الباب والسّند وخُراسان وحُلوان ..

« فتحركوا وتكاتبوا .. واجتمعوا إلى نهاوند ..

« ولمّا وصلها أوائلهم .. بلغ سعداً الخبر ..

« فكتب إلى عمر ..

« وثار بسعدٍ قومٌ سعوا به .. وألّبوا عليه !

« ولم يشغلهم ما نزل بالناس ..

« وكان ممن تحرّك في أمره .. الجرّاح بن سِنان الأسديُّ .. في نفر ..

« فقـــال لهم عمر :

« والله ما يمنعني ما نزل بكم .. من النظر فيما لديكم ..

« فبعث عمرُ ، محمد بن مسلمة ..

« والناسُ في الاستعداد للفُرس ..

« وكان محمـــد ، صاحب العمال .. يقتص آثار من شكا .. زمان عمر ..

« فطاف بسعدٍ ، على أهل الكوفة ، يسأل عنـه ..

« فما سأل عنه جماعةً ، إلا أثنوا عليـــه خيراً ..

« سوى مَن مالأ الجرّاحَ الأسدي ..

« فانهم سكتوا ، ولم يقولوا سوءاً ، ولا يسوغ لهم ..

لا يعدل في القضية !

« حتى انتهى إلى بني عبس ..

« فسألهم .

« فقال أسامة بن قتادة :

« اللهمّ إنه لا يقسم بالسوية !!

« ولا يعدل في القضيّة !!

« ولا يغزو في السرية !!

سعد .. يدعو .. على مَن ظلمه ..

فقال سعد :

« اللهمّ إن كان قالها رياءً .. وكذبا .. وسُمعة ..

« فأعمِ بصره ..

« واكثِرْ عياله ..

« وعرّضه لمضلاّت الفتن !!

فعميَ !

واجتمع عنده عشر بنات ..

وكان يسمع بالمرأة ، فيأتيها حتى يجسها ، فــاذا عثر عليـه قـال :

« دعوة سعد ... الرجل المبارك !! »

اتّقِ دعوةَ المظلوم ؟

ثمّ دعا سعد .. على اولئك النفر فقال :

« اللهمّ إن كانوا خرجوا أشراً وبطراً ورياء ..

« فاجهدْ بلاءهم ..

فجهدوا .. وقُطّع الجرّاح بالسيوف .. يوم بادر الحسَن بن عليّ ، عليه السلام ، ليغتاله بساباط ..

وشُدِخ قبيصة بالحجـارة ..

وقُتل أَرْبَد ، بالوَجِءِ ، ونعـال السيوف ..

سعد يتألم ..

وقال سعد :

« اني اوّلُ رجلٍ .. اهراقَ دما من المشردين ..

« والقد جمع لي رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. .. ابويه وما جمعهما لأحدٍ قبلي ..

« ولقد رأيتني خُمس الاسلام ..

« وبنو اسد تزعم اني لا احسن اصـلي .. وانّ الصيد يلهيني » !!

عُمر .. يعزل .. سعداً ..

وخرج محمد بسعد ، وبهم معه ، إلى المدينة ..

« فقدموا على عمر ، فأخبروه الخبر .. فقـــال :

« كيف تصلي يا سعد ؟

« قال : أطيل الاولين ، وأحذف الأُخريين ..

« فقال : هكـذا الظنُّ بك ، يا أبا إسحاق .. ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بيّناً ..

« وقال : مَن خليفتك يا سعد على الكوفة ؟

« فقال : عبدالله بن عبدالله بن عِتْبان .

« فأقرّه .

« فكان سبب نهاوند وبعثها زمن سعد ..

« وأما الوقعةُ فهي زمن عبـــدالله .. »

* * *

وهكذا .. عزل عُمر سعداً .. من باب الاحتياط ..

ودفع سعد ضريبة المناصب .. التي تتحتم على كل ذي منصب مسئول ..

مقتل عُمر ...

يرشح سعداً ...

اميرا للمؤمنين ؟!

ثُمّ

دخلت سنة ثلاث وعشرين ..

مقتل ُعمر ..

.. فلمّـا اصبح ، خرج عمر إلى الصلاة ..

وكان يوكل بالصفوف رجالاً ، فإذا استوت كبّر ..

ابو لؤلؤة يغتال ُعمر ..

• ودخل أبو لؤلؤة في الناس

• وبيده ِخنجر له رأسان ، نصابه في وسطه ..

• فضرب عمرَ ستّ ضربات ..

« إحداهن تحت سرّته ..

« وهي التي قتلتــه ..

« وقتل معه كليب بن أبي البُكَير الليثي ، وكان خلفـــه ..

« وقتل جماعة غيره !

عُمر يسقط في المحراب ..

« فلما وجد عمر حرّ السلاح سقط !

« وأمر عبدَ الرحمن بن عوف ، فصلى بالنـــاس ..

« وعمر طريح !

« فاحتُمل ، فــأُدخل بيته !

« ودعا عبدَ الرحمن فقال له :

« اني اريد أن أعهد اليك ..

قال : « أتشير عليّ بذلك ؟

« قال : اللهمّ لا ..

« قال : والله لا أدخل فيه أبدا ..

« قال : فهبني صمتــا .. حتى اعهد إلى النفر الذين توفى رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم .. وهو عنهم راضٍ ..

سعد احد المرشحين ..

« ثمّ دعا عليّا .. وعثمان .. والزبير ..

« وسعْدا ..

« فقال : انتظروا اخاكم طلحة ثلاثا .. فان جاء وإلا فاقضوا امركم ..

أنشدك الله .. يا سعد ..

« أنشدك اللهَ يا عليّ .. إن وليتَ من أمور النـاس شيئاً .. أن تحمل بني هاشم على رقاب النـاس !

« أنشدك الله .. يا عثمان .. إن وليتَ من أمور الناس شيئاً ..

أن تحمل بني ابي مُعَيط على رقاب الناس !

• أنشدك الله .. يا سعد .. إن وليتَ من أمور الناس شيئاً .. أن تحمل أقاربك على رقـاب الناس !

• قوموا فتشاوروا ..

• ثم أقضوا أمركم ..

• وليصلّ بالنـاس صُهَيب ..

• ثمّ دعا أبا طلحة الأنصاري ، فقـال :

• **قم على بابهم .. فلا تدع أحداً يدخل اليهم !!**

• وأوصي الخليفـة من بعدي بالأنصار .. الذين تبّوأوا الدار والإيمـان ، أن يحسن إلى محسنهم ، ويعفو عن مسيئهم !

• وأوصى الخليفة بالعرب ، فانهم مادة الإسلام .. أن يؤخذ من صدقاتهم حقّها فتوضع في فقرائهم !

• وأوصي الخليفة بذمة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. أن يوفى لهم بعهدهم !

• اللهمّ هـل بلّغتُ ؟

• لقد تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة !

مَن قتلني ..

« يا عبدالله بن عمر ..

« اخرج .. فانظر مَن قتلني ؟.

« قال : يا أمير المؤمنين .. قتلك أبو لؤلؤة .. غلام المغيرة ابن شعبة ..

« قال : الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدةً واحدةً !!

سلْها أن تأذن لي ..

« يا عبدالله بن عمر ..

« اذهبْ إلى عائشة .. فسلها أن تأذن لي أن أدفن مع النبيّ .. صلى الله عليه وسلم .. وابي بكر !!

« يا عبد الله .. إن اختلف القومُ فكن مع الاكثر ..

« فان تشاوروا .. فكن مع الحزب الذي فيـــه عبد الرحمن ابن عوف ..

« يا عبدَ الله .. ائذن للناس ..

« فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار .. فيسلمون عليه !

خذ رأسي .. فضعه في التراب ..

ثم قال :

« يا عبدالله ..

« خُذْ رأسي .. عن الوسادة ..

« فضَعْه في التراب !!

« لعلّ الله جلّ ذكره .. ينظر اليّ .. فيرحمني !!

« والله لو ان لي ما طلعت عليه الشمس .. لافتديت به من هول المُطَّلَع !!

ومات امير المؤمنين ..

« ودعي له طبيب ، فسقـــاه نبيذاً .. فخرج غير متغير ..

« فسقاه لبناً ، فخرج كذلك ايضاً ..

« فقال له : اعهد يا امير المؤمنين ..

« قال : قـد فرغتُ !

« ولما احتُضر ورأسه في حجر ولده عبدالله قال :

ظَلومٌ لنفسي غيرَ أنيَ مسلمٌ
أصلي الصلاةَ كلّهـا وأصومُ

« ولم يزل يذكر الله تعـالى ..

« ويُديمُ الشهادة .. إلى أن توفي ليلة الأربعـاء ..

« لثلاث بقين من ذي الحجّـــة ..

« سنة ثلاث وعشرين » !

سعد بن أبي وقاص ..

وموقفه النبيل ..

في قصة الشورى ؟!

قصة

الشورى ؟!

« لمّا طُعن عمر بن الخطّاب قيل له :

« يا اميرَ المؤمنين لو استخلفتَ ؟

« فقال : لو كان أبو عبيدة حيّاً لاستخلفته .. وقلت لربي إن سألني : سمعتُ نبيّك يقول :

« إنّه امين هذه الأمّة » ..

« ولو كان سالم .. مولى ابي حُذيفة .. حيّاً لاستخلفته .. وقلت لربي إن سألني .. سمعتُ نبيّك يقول :

« إنّ سالماً شديد الحبّ لله تعالى » ..

لا أرَب لنا في اموركم !.

« فقـــال له رجل : أدلك على عبدالله بن عمر !

« فقال : قاتلك الله .. والله ما أردتَ الله بهذا !. ويحك !.
كيف استخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته ؟

« لا أرب لنا في أموركم ..

« فما حمدتها .. فارغب فيها لأحد من أهـل بيتي !

« إن كان خيراً .. فقد أصبنا منه .. وإن كان شرّاً فقـد صُرف عنّا ..

« بحسب آل عمر .. ان يحاسَب منهم رجل واحد ، ويُسأل عن أمر أمة محمد !

« أمَا لقد جهدتُ نفسي ، وحرمتُ أهلي .

« وإن نجوتُ كفافاً ، لا وزر ، ولا أجر .. إني لسعيد !

« وانظر .. فان استخلف فقد استخلف من هو خير مني ،
وإن أترك فقد ترك من هو خير مني ..

• ولن يضيع الله دينه !

واشار الى علي !.

• فخرجوا .. ثمّ راحوا ..

• فقالوا : يا امير المؤمنين ، لو عهدتَ عهداً ؟

• فقال : قد كنتُ أجمعت بعد مقالتي أن أنظر فاولي رجلاً أمركم ، هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ ..

• وأشار إلى عليّ ..

• فرهقتني غشية ، فرأيتُ رجلاً دخل جنّة ، فجعل يقطف كلّ غضة ويانعة ، فيضمه اليه ويصيّره تحته ..

• فعلمتُ أنّ الله غالبٌ على أمره ..

• فما أردتُ أن اتحمّلها حيّاً وميتاً !

علي .. وعثمان .. وعبد الرحمن ..
وسعد .. والزبير .. وطلحة !.

« عليكم هؤلاء الرهط .. الذين قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« إنهم من أهل الجنّة .. وهم ..

« عليّ ..

« وعثمان ..

« وعبد الرحمن ..

« وسعد ..

« والزبير بن العوّام ..

« وطلحة بن عبيد الله ..

« فليختاروا منهم رجلاً ..

« فاذا ولّوا والياً فأحسنوا موازرته وأعينوه !

عمر يدعو المرشحين !.

« فلمّا أصبح عمر ..

« دعا عليّاً .. وعثمان .. وسعداً .. وعبد الرحمن .. والزبير ..

« فقال لهم : إني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ..

« ولا يكون هذا الأمر إلاّ فيكم ..

« وقد قُبض رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. وهو عنكم راضٍ ..

« وإني لا أخاف الناسَ عليكم إن استقمتم ..

« ولكني أخافكم فيما بينكم ، فيختلف الناس !

« فانهضوا إلى حجرة عائشة باذنها ، فتشاوروا فيها ..

« ووضع رأسه ، وقد نزفه الدم !

ابن عُمر .. مشيراً !.

« فدخلوا فتناجوا ، حتى ارتفعت أصواتهم !

« فقال عبدالله بن عمر : سبحان الله ! إنّ اميرَ المؤمنين لم يمت بعد !

« فسمعه عمر . فانتبه !

« وقال : ألا أعرضوا عن هذا ..

« فإذا متُّ فتشاوروا ثلاثة أيّام ، وليصلِّ بالناس صُهيب ..

« ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم امير منكم ..

« ويحضر عبد الله بن عمر ، مشيراً .. ولا شيء له من الأمر !!

« وطلحة شريككم في الأمر ، فان قدم في الأيام الثلاثة فأحضروه أمركم ، وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فامضوا أمركم ..

سعد يقول لعمر : انا لك به ؟!

« ومَن لي بطلحة ؟

« فقال سعد بن أبي وقاص : أنا لك به ، ولا يخالف إن شاء الله تعالى ..

« فقال عمر : أرجو أن لا يخالف إن شاء الله !

وان تولوا سعداً ..

فاهله هو ؟!

« وما أظنّ يلي إلاّ أحد هذين الرجلين : عليّ أو عثمان ..

« فان ولي عثمان ، فرجل فيه لِين !

« وإن وليَ عليّ ، ففيه دُعابة ، وأحرى بـه أن يحملهم على طريق الحقّ !

« **وان تولوا سعداً .. فـأهله هو .. وإلا فليستعن به الوالي ..**

« **فاني لم أعزله عن ضعف .. ولا خيانة !!**

« ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف ، فاسمعوا منه وأطيعوا !

*

اقول :

ينبغي التركيز ها هنا على شهادة عمر ، في سعد !

« **وإن تولوا سعداً ..**

« **فأهله هو ؟!**

عُمر الذي جعل الله الحقّ على لسانه وقلبه ، يشهد أنّ سعداً أهلٌ ان يكون أميراً للمؤمنين !

ثم يزيده عمر شرفاً إلى شرف ..

« وإلا فليستعن به الوالي .. » !

ثم يضع على رأسه تاجاً فيقول فيه :

« **فاني لم اعزله عن ضعف ولا خيانة** » !!

إذن .. سعدٌ قويّ ..

وسعدٌ أمين !

وهاتان الصفتان هما جماع الصفات العليا ، اللازم توافرها في أمير المؤمنين !

عمر يضع تكتيك الاختيار !.

• وقال لأبي طلحة الانصاري :

« يا ابا طلحة .. إنّ الله طالما أعزّ بكم الاسلام ، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار ، فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم !

• وقال للمقداد بن الأسود :

ـ إذا وضعتموني في حفرتي ، فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً !

وقال لصُهيب :

ـ صلّ بالناس ثلاثة أيام ، وادخل هؤلاء الرهط بيتاً ، وقم على رؤوسهم ..

• فان اجتمع خمسة وأبى واحدٌ ، فاشدخ رأسه بالسيف !

• وإن اتفق أربعةٌ وأبى اثنان ، فاضرب رأسيهما !

• وإن رضي ثلاثة رجلاً .. وثلاثة رجلا ، فحكّموا عبدالله ابن عمر !

• فإن لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر .. فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع فيه الناس !

*

اقول :

عجزت النساء أن يلدن مثل ُعمر !

ما هذه العبقرية ..

وما هذا الذكاء ..

وكيف يتأتى مثل هذا التفكير في أعلى مستويات السياسة العليا ، من ذلك العبقريّ العجيب ؟

المقداد يجمع اهل الشورى ؟!

« فلما مات عمر ، واخرجت جنازته ، صلّى عليه ُصهيب ..

« فلما ُدفن عمر ، جمع المقداد أهل الشورى في بيت المستور ابن مخرمة ، وطلحة غائب ..

« وأمروا أبا طلحة ان يحجبهم ..

سعد .. يحصب عمرو بن العاص ؟!

« وجاء عمرو بن العاص ..

« والمغيرة بن شُعبة ..

« فجلسا بالباب ..

« فحصبهما سعد ، واقامهما !

« وقال : تريدان أن تقولا : حضرنا ، وكنّا في أهل الشورى ؟!

« فتنافس القومُ في الأمر ، وكثر فيهم الكلام ..

فقال أبو طلحة : أنا كنت لأن تدفعوها أخوفَ مني لأن تتنافسوها !. والذي ذهب بنفس عمر ، لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي أمر .. ثمّ أجلس في بيتي فانظر ما تصنعون !

عبد الرحمن ينخلع من الترشيح ؟!

« فقال عبد الرحمن : أيُّكم يُخرج منها نفسَه ويتقلدها على أن يوليهـــا أفضلكم ؟

« فلم يجبه أحدٌ ..

« فقال : فأنا انخلع منهـــا ..

« فقال عثمان : أنا أول من رضي ..

« فقال القوم : قد رضينا ..

« وعليّ ساكت !

فقال : ما تقول يا أبا الحسن؟

« قال : أعطني موثقـاً لتؤثرنَّ الحقّ ، ولا تتبع الهوى ، ولا تخص ذا رحم ، ولا تالُ الأمَّـة نُصحـاً ..

« فقـال : أعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معي على من بدّل وغير ، وأن ترضوا من اخترتُ لكم ..

« وعليّ ميثـــاق الله أن لا أخصّ ذا رَحم لرحمه ، ولا آلو المسلمـين ..

« فأخذ منهم ميثاقاً ، وأعطاهم مثله .

دبلوماسية عبد الرحمن بن عوف ؟

فقال لعليّ :

« تقول إني أحق مَن حضر بهذا الأمر ، لقرابتك وسابقتك ، وحسن أثرك في الدين ، ولم تبعد ..

« ولكن أرأيت لو صُرف هذا الأمر عنك ، فلم تحضر ، مَن كنتَ ترى مِن هؤلاء الرّهط أحقّ به ؟

« قـــال : عثمان !

وخلا بعثمان فقال :

« تقول شيخ من بني عبد مناف ، وصهر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. وابن عمه .. ولي سابقة وفضل ، فأين يُصرف هـــذا الأمر عني ؟ ولكن لو لم تحضر ، أي هؤلاء الرهط تراه

أحقّ به ؟

« قال : عليّ !

عبد الرحمن لا ينام ؟

« ولقي عليّ سعْداً ..

« فقال له :

﴿ اتَّقُوا اللهَ الذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والارْحامَ ﴾ ..

« أسالك برحم ابني هذا من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وبرحم عمي حمزة منك ، أن تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيراً ..

« ودار عبد الرحمن لياليه ، يلقى أصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. ومَن وافى المدينة من أمراء الاجناد ، وأشراف الناس يشاورهم ..

« حتى إذا كان الليلة التي صبيحتها تستكمل الأجل ، أتى منزل المستور بن مخرمة ، فايقظه وقال له :

« لم أذق في هذه الليلة كبير غمض ..

« انطلقْ ، فادعُ الزبير وسعْداً .

« فدعاهما ..

سعد يقول علي احبُّ اليَّ ؟.

« فبدأ بالزبير ، فقال له :

« خلِّ بني عبد مناف وهذا الامر ؟

« قال : نصيبي لعليّ ..

« وقال لسعد : اجعل نصيبك لي ..

« **فقال : ان اخترتَ نفسك فنعم ..**

« **وان اخترتَ عثمان .. فعليٌّ احبّ اليّ ..**

« **ايها الرجل .. بايع لنفسك .. وارحنـــا .. ورافع رؤوسنا !!**

« فقال له : قد خلعتُ نفسي على ان اختـار ، ولو لم افعـل

لم أردها ..

• .. ولا يقوم مقام أبي بكر وعمر بعدهما أحد فيرضى الناس عنه !

ساعة الصفر ..

• فلما صلوا الصبح ..

• جمع الرهط .

• وبعث إلى مَن حضره من المهاجرين ، واهل السابقة والفضل من الانصار .

• وإلى أمراء الاجناد .

• فاجتمعوا حتى التجّ المسجد باهله ..

• فقال : ايها الناس ، إنّ الناس قد اجمعوا أن يرجع اهل الامصار إلى امصارهم ، فاشيروا عليّ ..

• فقال عمّار : إن اردتَ أن لا يختلف المسلمون فبايع عليّا ..

« فقال : المقداد بن الاسود : صدق عمّار .. إن بايعتَ عليّاً .. قلنا : سمعنا واطعنا ..

« قال ابن أبي سَرْح : إن اردت ان لا تختلف قريشٌ ، فبايع عثمان ..

« فقال عبد الله بن أبي ربيعة : صدقتَ ، إن بايعتَ عثمان .. قلنا : سمعنا واطعنا ..

« فشتم عمّارٌ ابن ابي سَرْح وقال : متى كنتَ تنصح المسلمين ؟

« فتكلم بنو هاشم وبنو امية !

« فقال عمّار : ايها الناس ، إن الله اكرمنا بنبيّه ، واعزنا بدينه ، فانىّ تصرفون هذا الامر عن اهل بيت نبيكم ؟

« فقال رجل من بني مخزوم : لقد عدوتَ طوركَ يا ابن سمية ، وما انت وتأمير قريش لانفسها ؟

★

سعدٌ يقول : يا عبدَ الرحمن ..
افرغ قبل ان يفتتن الناس ..

• فقال سعد بن أبي وقّاص :

• يا عبدَ الرحمن ..

• افرغ ، قبل ان يفتتن الناس !

• فقال عبد الرحمن : إني قد نظرتُ ، وشاورتُ ، فلا تجعلُنّ ايها الرهط على انفسكم سبيلا !

عبد الرحمن يبايع عثمان ..

• ودعا عليّاً وقال :

• عليك عهدُ الله وميثاقُه ، لتعملن بكتاب الله .. وسنّة

رسوله .. وسيرة الخليفتين من بعده !

« قال : ارجو ان افعل ، فاعمل بمبلغ علمي وطاقتي ..

« ودعا عثمان .. فقال له مثل ما قال لعلي ..

« فقال : نعم .. نعمل ..

« فرفع رأسه إلى سقف المسجد ..

« ويده في يد عثمان ..

« **فقال : اللهمّ اسمع واشهد .. اللهمّ أني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك .. في رقبة عثمان ..**

« فبايعه » !

عثمان ..

يولي سعداً ...

اميراً على الكوفة .؟!

ثمّ

دخلت سنة أربع وعشرين ..

بيعة عثمان بن عفّان بالخلافة ؟

• في المحرم منها ، لثلاث مضين منه ..

• بويع عثمان بن عفّان ..

عزلُ المغيرة عن الكوفة ..

وولاية سعد بن ابي وقاص؟

« وفيها عزل عثمانُ .. المغـــيرة بن شعبة ، عن الكوفة ..

« واستعمل سعد بن أبي وقّـاص عليهـــا ، بوصية عمر ..

« فإنه قال :

« اوصى الخليفة بعدي أن يستعمل سعداً .. فاني لم اعزله عن سوء ولا خيانة !!

« فكان أوّل عامل بعثه عثمان ..

« فعمل عليها سعدٌ سنةً وبعض أخرى ..

* * *

اقول :

إذا سمعتَ كلمة « الكوفة » .. يجب عليك أن تتصور أنها كانت أعظم القواعد الإسلامية المسلحة ، قد بلغ عدد المقاتلين المرابطين فيها اكثر من مائة الف مقاتل !

واليك أثراً تدرك منه عظمة الكوفة ، وعدد القوة الضاربة المرابطة فيها :

« وخلا عمر في ناحية المسجد فنام .

« فأتاه المغيرة بن شعبة فحرسه حتى استيقظ ..

« فقال : ما فعلتُ هذا يا أمير المؤمنين إلا من عظيم ..

« فقال : وأيّ شيء أعظم من مائة الف ، لا يَرضون عن أمير ، ولا يرضى عنهم أمير ؟

« وأحيطت الكوفة على مائة الف مقاتل ..

« وأتاه أصحابه فقالوا : ما شأنك ؟

« فقال : إنّ أهل الكوفة قد عضلوني ..

« واستشارهم فيمن يوليه !

« وقال : ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم ، أو رجل

قويّ مسدّد ؟

« فقال المغيرة : أما الضعيف المسلم ، فإنّ إسلامه لنفسه وضعفه عليك .. وامـا القويّ المسدّد .. فإن سداده لنفسه وقوته للمسلمين ..

« فولّى المغيرةَ الكوفة ..

« فبقي عليها حتى مات عمر !

« وذلك نحو سنتين وزيادة ..

« وقال له حين بعثه : يا مغيرة ، ليامنك الأبرار .. وليخفْك الفجّـار ..

« ثم اراد عمر أن يبعث سعداً على عمل المغيرة ، فقُتـل عمر قبل ذلك ..

« فاوصى به .. » !

*

هذا هو الأثر الخطير الذي نفهم منه أن الكوفة شيء ضخم ، يحتشد فيها اكثر من مائة الف مقاتل .. وانها أتعبت عمر .. ومـا أدراك مـا عمر ؟

فبعث اليها رجلاً قوياً هو المغيرة ، ليبطش بالمشاغبين فيها ..

وهذه الكوفة ظلت دائماً تلعب دوراً بارزاً في سير الأحداث على مستوى الدولة الاسلامية المترامية الأطراف ..

فاذا سمعت أن سعداً تولّى عليها ، كان عليك إن تتصور مساحة ضخمة من المعسكرات .. تضم اكثر من مائة الف مقاتل ، وما يستتبع ذلك من خيول وأدوات حرب ، ومساكن وعائلات مائة الف مقاتل .

مدينة عسكرية ضخمة جداً ، تموج بالقوات الاسلامية الضاربة ، المستعدة دائماً لتلبية أي أمر يصدر اليها بالتحرك إلى القتال !

سعد .. يغزو الديلم ؟

« ثم دخلت سنة خمس وعشرين ..

« وفيها بلغ سعدَ بن أبي وقّاص .. عن اهل الريّ ، عزمٌ على نقض الهدنة والغدر ..

« فارسل اليهم وأصلحهم ..

• عزا الديلم . ثمّ انصرف !

عزل سعد .. عن الكوفة ..

• في هذه السنة .. عزل عثمان بن عفّان .. سعدَ بن أبي وقاص عن الكوفة ..

• واستعمل الوليدَ بن عُقبة ..

• وسبب ذلك أن سعداً اقترض من عبدالله بن مسعود ، من بيت المال قرضاً ..

• فلما تقاضاه ابن مسعود ، لم يتيسر له قضاؤه ، فارتفع بينهما الكلام !

• فقال له سعد : ما أراك إلاّ ستلقى شرّاً ، هل أنت إلا ابن مسعود ، عبدٌ من هذيل ؟

• فقال : أجل والله ، إني لابن مسعود ، وإنك لابن حُمَينة !

• وكان هاشم بن عتبة بن أبي وقاص حاضراً فقال :

« إنكما لصاحبا رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. يُنظر إليكما !!

« فرفع سعدٌ يده ليدعو على ابن مسعود !

« وكان فيه حدّة ؟!

« فقال : اللهمَ ربّ السماوات والارض .

« فقال ابن مسعود : ويلك ، قل خيراً ولا تلعن !

« فقال سعد عند ذلك : أَمَا واللهِ ، لولا اتقاء الله ، لدعوت عليك دعوة لا تخطئك !

« فولّى عبد الله سريعاً حتى خرج !

« ثمّ استعان عبدُ الله بأناس على استخراج المال ..

« واستعان سعد بأناس على إنظاره ..

« فافترقوا .. وبعضهم يلوم بعضاً ..

« يلوم هؤلاء سعداً ، وهؤلاء عبدَ الله ..

« فكان أوّل ما نَزغَ به بين أهل الكوفة !

« وأول مصر نزغ الشيطان بين أهله الكوفة ..

« وبلغ الخبر عثمان ، فغضب عليهما ..

« فعزل سعداً ، وأقرّ عبدالله ..

« واستعمل الوليد بن عُقبة بن أبي معيط ، مكان سعد ..

« وكان على عرب الجزيرة عاملاً لعمر بن الخطاب ، وعثمان ابن عفّان بعده ..

« فقدم الكوفة والياً عليها ..

« وأقام عليها خمس سنين ، وهو من احبّ الناس إلى أهلها !

اراكم جعلتموها مُلكاً ؟

« فلما قدم قال له سعد :

« أكِستَ بعدنا ، ام حمقنا بعدك ؟

« فقال : لا تجزَعنّ يا أبا إسحاق ..

« كلّ ذلك لم يكن ..

« وإنما هو المُلك ، يتغداه قوم ويتعشاه آخرون !

« فقـال سعد :

« اراكم جعلتموها ُملكاً !

« وقال له ابن مسعود : ما أدري .. أَصلحتَ بعدنا .. أم فسد الناس » !!

سعد بن أبي وقاص ..

يعتزل أحداث ..

الفتنة الكبرى ؟!

لستُ

أريد ها هنا الحديث ، عن أحداث الفتنة الكبرى ..

وإنما اريد الحديث عن موقف سعد بن أبي وقّاص .. من أحداثها ..

ولقد آثر سعدٌ أن يقف منها موقف الحياد التام ..

فلا هو مع فريق الإمام عليّ ..

ولا هو مع فريق معاوية ..

ونأى بنفسه أن يشارك مع هذا أو ذاك .

جاءه الثوار في المدينة ، حيث لم يجدوا من أهل الشورى إلا سعداً ..

فبعثوا اليه وفداً منهم ، يكلمه في تولي الخلافة بعد مقتل عثمان .. وبعد رفض عليّ وطلحة والزبير لها ، وقالوا له :

- إنك من أهل الشورى ، فرأينا فيك مجتمع .. فأقدم نبايعك ..

فقـال :

- إني وابن عمر ، خرجنا منها .. فلا حـاجة لي فيها على حـال !!

ثم قال :

لا تخلطن خبيثـات بطيبة

واخلع ثيابك منها وانج عريانا !

وجاءه ابنه عمر يوماً ، وقال له :

- الناس يتنازعون الإمارة ، وانت ها هنا ؟

- اخرج يا أبتِ ، فانك أحقّ بها من المتنازعين !

فقال سعد :

- لا .. لن اخرج أبداً .. إني قد تركت الامارة ، لا شأن لي فيها !

- ولم يا أبتِ ؟!

ـ يا بنيّ .. إني سمعت رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. يقـول :

« إن الله يحب العبد الخفيّ التقيّ .. » !!

وجاء هاشم ابن اخيه اليه وقال له :

ـ يا عم .. ها هنا مائة الف سيف ، يرونك أحقّ النـاس بهـذا الأمر !

فقـال سعد :

ـ أريد من المائة الف سيف ، سيفاً واحـداً .. إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئاً ، وإذا ضربت به الـكافر قطع !

وليس معنى اعتزال سعد أحداث الفتنة الكبرى ..

أنه كان سلبياً ، يقف منهـا موقف المتفرج ..

كلا .. وإنما كان يرفض أن يُتَّخذ إماماً ، يطلب توليته فريق من الناس ..

كان زاهداً في الخلافة .. لا يريدها ، ولا يريد الناس أن يدفعوه اليهـا !

اما إذا دعت الظروف أن ينصر مظلوماً ويمنع عنه الظلم ..

فهو يتقـدم الصفوف !

قـال ابن الأثير :

« ولما جاءت الجمعة التي على أثر دخولهم المدينـة (اي دخول الثوّار) ..

« خرج عثمان فصلّى بالناس ..

« ثمّ قام على المنبر فقال :

« يا هؤلاء .. اللهَ اللهَ ..

« فوالله إن اهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد .. صلى الله عليـه وسلم ..

« فـامحوا الخطأ بالصواب ..

« فقام محمد بن مسلمة فقال : انا اشهد بذلك ..

« فاقعده حكيم بن جَبلة !

« وقام زيد بن ثابت ، فاقعده محمد بن أبي قُتيرة !

« وثار القوم بأجمعهم !

« فحصبوا الناس حتى اخرجوهم من المسجد !

« وحصبوا عثمان ، حتى صُرع عن المنبر ، مغشيّاً عليه !
« فأُدخل داره » !

*

اقول :

ماذا صنع سعدٌ حين رأى هذا المنكر ؟

سعد .. يدافع عن عثمان ؟

« واستقتل نفر من اهل المدينة ، مع عثمان ..
« منهم ..
« **سَعْدُ بنُ ابي وَقّاص** » ..
« والحسين بن عليّ ..

« وزيد بن ثابت ..

« وأبو هريرة ..

« فارسل اليهم عثمان يعزم عليهم بالانصراف .. فانصرفوا » !!

*

هـذا موقف من مواقف سعد الايجابية ، في سير احداث الفتنة الكبرى ..

إنه يريد أن يقاتل دفاعـــاً عن امير المؤمنين !

أمّـــا ان يكون اميراً للمؤمنين فلا !

سعد يقول لامير المؤمنين :
ما عليك مني بأس ؟

نحن في سنة خمس وثلاثين ..

وقد بويع عليّ بن ابي طالب .. أميراً للمؤمنين ..

يوم الجمعة ، لخمس بقين من ذي الحجة .

قال ابن الأثير :

« وبايعه الناس ..

« وجاؤوا بسعد بن أبي وقّاص ..

« فقال عليّ : بايع ..

« فقال : لا .. حتى يبايع الناس .. والله مــا عليك مني بـأس !

« فقـال عليّ : خلّوا سبيله » !

* * *

إن امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ يطمئن إلى موقف سعد !

إنه يعلم أنه غير راغب فيها ..

ولذلك يقول : خلّوا سبيله !

خلاصة المقال أنّ سعْداً التزم الحياد التام في أحداث الفتنة الكبرى ..

فلا هو يرغب أن يكون أميراً للمؤمنين .. ولو جاءوه من كل مكان ..

ولا هو يرغب أن يؤيد أحداً على أحد ..

ولا يرغب أن ينازع أحداً تولّاها !

سعد يعتزل ..

الحرب والسياسة ..

عشرين سنة ؟!

منذ

مقتل عثمان ، في سنة خمس وثلاثين هجرية ..

إلى سنة خمس وخمسين هجرية .. وهي السنة التي توفى فيها سعد بن أبي وقّاص – على أرجح الأقوال –

أي على امتداد عشرين عاماً ..

عاشها سعد معتزلاً الحرب والسياسة ..

لا هُوَ من فريق الامام عليّ .

ولا هوَ من فريق معاوية ..

وإنما هو قد ارتضى لنفسه تخطيطاً ، هو اشق تخطيط ، وأثقله على النفس ..

هو التزام الحياد التام بين الفريقين المتصارعين ..

والبُعد عن أعمال الحرب والسياسة .

وهذا شيء شاقّ على مِثل سعد بن أبي وقـاص !

ذلك أنّ سعداً ، كان ملء الأسماع والأبصار ..

قائداً عاماً .. للمعركة الكبرى ، التي قهرت الفُرس قهْراً ، ولم يقوموا بعده ابـــداً ..

وقائداً عاماً لنفس القوات ، وهي تفتتح المدائن العاصمة ، وتدخل إيوان كسرى !

رجل حرب وسياسة من الطراز الأعظم .

حياته كلها صراع وجهاد ، وكرّ وفَرّ .

وفجاة تضطره الأحداث ان يؤثر العزلة .

وان يعيش في الظلّ .

على أيّ شيء يدل ذلك ؟!

يدلّ ذلك على أن سعداً اعتراه حُزْن ، نتج عن صدمة وقعت به فجـأة !

ما هي هذه الصدمة ، التي جعلت سعداً .. الأسد عـــادياً .. يتقوقع في قوقعته ؟

انّـه آنس رياح الفتنة قادمة ..

ورأى اخطبوطها يتحرك باذرعـــه المتشابكة ..

فَكرِهِ سعدٌ ما رأى !

وابتعد عمـــا يرى !

وأبى ان يكون مع هذا او ذاك ، حتى لا يزيد النـــار اشتعـــالاً !

وفاة ...

البطل ...

سعد بن ابي وقاص ؟ !

امـــا

رواية « أُسدُ الغابة .. في معرفة الصحابة » فتقول :

« وتوفي سعد بن أبي وقّاص ..

« سنة خمس وخمسين ، قـــاله الواقدي ..

« وقال أبو نُعيم الفضل بن دُكين :

« مات سنة ثمان وخمسين ..

« وقـــال الزبير .. وعمرو بن عليّ .. والحسن بن عثمان :

« توفي سعد سنة أربع وخمسين ..

« وتوفي بالعقيق ، على سبعة اميال من المدينـــة ..

« فحمل على اعناق الرجال إلى المدينة ..

« فـأدخل المسجد ..

« فصلى عليه مروان ..

« وأزواج النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ..

« قــال ابنه عامر :

« كان سعد آخر المهاجرين موتاً ..

« ولمّا حضرته الوفاة ، دعا بخَلَق ُجبَّة له من صوف ، فقال :

« كفِّنوني فيها ، فاني كنت لقيت المشركين فيهـا يوم بدْر ، وهي عليّ ، وإنما كنت أخبؤها لهذا » !

★

وأما رواية ابن الأثـير ، فيقول :

« ثم دخلت سنـة خمسين ..

« وفيها توفيّ ، سعد بن أبي وقّـاص ..

« بالعقيق ..

« فحُمل على الرّقاب إلى المدينة ..

« فدُفن بها ..

« وقيل : توفيّ سنة اربع وخمسين ..

« وقيـــل : سنة خمس وخمسين ..

« وعمره اربع وسبعون ..

« وقيل : ثلاث وثمانون سنة ..

« وهو احد العشرة ..

« وكان قصيراً دحداحـاً .. »

* * *

فاذا اعتمدنا قول من قـــال انه مات سنة خمس وخمسين هجـرية ..

وان عمره ثلاث وثمانون سنة ..

وانّ سعداً لما اسلم كان عمره سبع عشرة سنة ..

تبين لنا انّ سعداً عاش في الاسلام ستّاً وستين سنة !

اي أنه عاصر عهد النبوة باكمله ، العهد المكيّ .. والعهـــد

المـدني ..

وعاصر خلافة أبي بكر كلها .

وعاصر خلافة عمر كلهـا ..

وعاصر خلافة عثمان كلها ..

وعاصر خلافة عليّ كلهـا ..

وعاصر خلافة معاوية حتى اقتراب نهايتها .

حيث مات سعد في سنة خمس وخمسين ، في خلافة معاوية !!

شخصية ...

سعد ...

ابن أبي وقاص ؟!

سعد بن مَالِك ؟!

هو سَعْدِ بن أبي وقّـاص ..

واسم ابي وقّـاص : مالك بن وُهَيب ..

وقيل : أهيب .. بن عبد مناف .. بن زُهْرة .. بن كلاب .. ابن مُرَّة .. بن كَعب .. بن لُؤَي .. بن غـالب .. بن فِهر .. بن مالك .. بن النضر .. بن كنانة .. القرشي الزهري ..

يكنى ابا إسحـاق ..

وأمه .. حَمْنة .. بنت سفيـــان .. بن أمية .. بن عبد شمس !!

اسلم بعد اربعة ؟

اسلم بعد ستة ..

وقيل بعد اربعة !

سبع عشرة سنة ؟!

وكان عمره لمّا اسلم سبع عشرة سنة !

رُوي عنه أنه قال :

« اسلمت قبل ان تفرض الصلاة !! »

شهد له رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..
بالجنـــة ؟

وهو احد الذين شهد لهم رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..
بالجنـة !

أحد العشرة ؟

وأحد العشرة سادات الصحابة !

أحد الستة اصحاب الشورى !

واحد الستة اصحاب الشورى ..

الذين اخبر عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. توفي وهو عنهم راض !

شهد المشاهد كلها !

شهد بدْراً ..

وأحُدا .

والخندق ..

والمشاهد كلها مع رسول الله ، صلى عليه وسلم ..

وابلى يوم أحُد بلاءً عظيماً !

اول مَن رمى بسهم في سبيل الله !

وهو اول من اراق دماً في سبيل الله ..

واول من رمى بسهم في سبيل الله !

عن قيس قال :

« سمعت سعد يقول :

« إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله ..

« والله إنْ كنا لنغزو مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم ..

« ما لنا طعام إلا ورق أُلحبْلة[1] ..

« وهذا السَّمُر ..

« حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ، ما له خلط ..

« ثم اصبحت بنو أسد تُعَزِّرُني على الدِّين !

« لقد خِبْتُ إذاً ، وضلَّ عملي . » !

وكان ناس من اهل الكوفة شكوه إلى عمر بن الخطاب ..

فعزله عن الكوفة ..

وكان اكثرهم شكوى منه رجل من بني أسد !

---

(١) ثمر السَّمُر ..

هذا خالي !

عن جابر ، قـــال :

« اقبل سعد ..

« فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« هذا خالي ..

« فَلْيُرِنِي امرؤ خاله . »

وإنما قال هذا ، لأن سعداً زُهْري ..

وام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. زُهْرية ..

وهو ابن عمها ، فانها آمنة بنت وهب بن عبد منـــاف ابن زُهرة ..

يجتمعان في عبد منـــاف ..

واهـل الأم اخوال !

اول دم أهريق في الاسلام !

عن ابن اسحاق قال :

« كان اصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

« إذا صلّوا ذهبوا إلى الشعـــاب ..

« فـــاستخْفَوا بصلاتهم من قومهم ..

« فبينما سعد بن ابي وقاص .. في نَفَرٍ من اصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

« في شِعْب من شعاب مكة ..

« إذ ظهر عليهم نفر من المشركين ..

« فناكروهم .. وعابوا عليهم دينهم .. حتى قاتلوهم ..

« فاقتتلوا !!

« فضرب سعد رجلاً من المشركين .. بلَحْيي[1] جمـــل ..

---

(١) اللحى : منبت اللحية من الانسان وغيره .

فشجه ..

« فكان أول دم أهريق في الاسلام . » !

بطل القادسية !

واستعمل عمر بن الخطاب .. سعداً .. على الجيوش.. الذين سيرهم لقتال الفُرس ..

قائد عام القوات المسلحة ..

وهو كان اميراً للجيش ، الذين هزموا الفرس بالقـــادسية !

بطل جَلولاء ؟!

وبجلُولاء .. ارسل بعض الذين عنده ، فقاتلوا الفُرس ، بجلولاء ، فهزموهم !

فاتح المدائن .. عاصمة كسرى ؟!

وهو الذي فتح المدائن .

مدائن كسرى ، بالعراق ..

مؤسس الكوفة .. واميراً على العراق ؟!

وهو الذي بنى الكوفة ..

وولي العراق ..

ثم عزله !

ان ولي سعد الامارة فذاك ؟!

فلما حضرت عمر الوفاة .

جعله أحد اصحاب الشورى ..

وقال :

« إن ولي سعد الامارة فذاك ..

« وإلا فأوصي الخليفة بعدي أن يستعمله ..

« فاني لم اعزله من عَجْز ولا خيانة ..

فولاه عثمان الكوفة ..

ثم عزله .

واستعمل الوليد بن عقبة بن أبي معيط ..

كان لا يدعو الا استجيب له ؟!

• عن قيس بن أبي حازم ..

• عن سعد ..

• أن رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. قال :

« **اللهم استجب لسعد إذا دعاك** » !!

وكان لا يدعو إلا استجيب له !

وكان الناس يعلمون ذلك منه ، ويخافون دعـاءه !

ارمِ ايها الغلام الحزَوَّر[1] !.

قال عليّ بن ابي طالب :

« ما جمع رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم .. اباهُ وامه لاحد .. الا لسعد بن ابي وقاص ..

« قال له يوم أحُد :

« ارمِ فداك ابي وأمي ..

« ارمِ ايها الغلامُ الحزَوَّر .. » !!

وقد روى انه جمعهما للزبير بن العوام ايضاً ..

(١) الحزوّر : الذي قارب البلوغ ..

رمى يوم أحد الف سهم ؟!

قال الزهري :

رمى سعد .. يوم أحد .. الف سهم ..

اعتزل الفتنة ؟!

ولما قتل عثمان ..

اعتزل الفتنة ..

ولم يكن مع احد من الطوائف المتحاربة ..

بل لزم بيته ..

يأبى ان يدعو لنفسه !.

وأراده إبنه عمر ..

وابن اخيه ، هاشم بن عتبة ، بن ابي وقّاص ..

ان يدعو لنفسه ، بعد قتل عثمان ..

فلم يفعل ..

وطلب السلامـــة ..

يرفض تأييد معاوية ؟!

فلما اعتزل ، طمع فيه معاوية ..

وفي عبد الله بن عمر ..

وفي محمد بن مسلمة ..

فكتب اليهم يـــدعوهم إلى ان يعينوه على الطلب بدم

عثمان ..

ويقول :

« انكم لا تكفرون ما أتيتموه من خِذْلانه إلا بذلك !! »

فاجابه كل واحد منهم ، يرد عليه ما جاءَ به ..

وكتب اليه سعدٌ أبياتَ شعر :

معاويَ داؤُك الداء العَيَـاء

وليس لمـا تجيء به دَواءُ

أيدْعوني ابو حسنٍ عليٌّ

فلم أردُد عليه مـا يشاءُ

وقلت له : اعْطِني سيفاً بَصيراً

تمـيز به العـداوةُ والولاءُ

أتطْمَع في الذي أعيـا عليّاً

على ما قد طمعتَ به العفاءُ

لَيُومٌ منه خيرٌ منك حيّاً

وميْتاً أنت للمَـرْءِ الفِدَاءُ !

اضاءَ لي قمر ؟!

وروت عنه ابنته عائشة ، انه قـــال :

" رأيت في المنام ، قبـــل أن أسلم ..

« كأني في ظلمة لا أبصر شيئاً .

« إذ أضاءَ لي قمر .

« فاتبعته ..

« فكأني أنظر إلى من سبقني إلى ذلك القمر ..

« فانظر إلى زيد بن حارثة ..

« وإلى عليّ بن أبي طالب ..

« وإلى إبي بكر ..

« وكأني أسألهم : متى انتهيتم إلى ها هنا ؟

« قـالوا : الساعـة !

« وبلغني ان رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. يدعو إلى

الاسلام مستخفياً ..

« فلقيته في شعب أجياد[1] ..

« وقد صلّى العصر ..

« فأسلمت ..

« فما تقدّمني احد إلا هم . » !

كنتُ رجلاً برّاً بأُمي ؟!

عن أبي عثمان النهدي ..

أنّ سعد بن أبي وقاص قال .

« نزلت هذه الآية فيّ ..

﴿ وإنْ جاهَدَاكَ على أن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فلا تُطِعْهُمَا وصَاحِبْهُمَا في الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾ ..

(١) اجياد : جبل بمكة .

« قال : كنتُ رجلاً بَرّاً بأُمي .

« فلما أسلمتُ قالت :

« يا سعد . ما هذا الدين الذي احدثتَ ؟

« لتدعن دينك هذا ، او لا آكل ولا أشرب حتى اموت ، فتعير بي ..

« فقال : لا تفعلي يا أُمَّه ..

« فإني لا ادع ديني .

« قال : فمكثت يوماً وليلة لا تأكل ..

« فاصبحت وقد جَهدت ..

« فقلت : والله .. لو كانت لك الف نفس ، فخرجت نَفْساً نَفْساً .. ما تركت ديني هذا لشيْءٍ !

« فلما رأت ذلك ، أكلت وشربت .

« فانزل الله هذه الآية . »

أسد في تاموره[1] ؟

سال عمر بن الخطاب .. عَمرو بن مَعدِ يكرب ، عن خبر سعد بن أبي وقّاص .. فقــال :

« متواضع في خِبائه ..

« عَرَبي في نمرته[2] .

« أسد في تاموره ..

« يعدل في القضيــة ..

« وَيَقْسِم بالسَّوية ..

« وُيبْعد في السرية ..

« ويعطف علينا عطف الأُم البرَّة ..

---

(١) التامور . عرين الاسد .. وهو بيته الذي يأوي اليه .

(٢) النمرة : بردة من صوف يلبسها الاعراب .

« وينقل الينا حقنا نقل الذرّة [1] . » !

روى احاديث كثيرة ؟

وروى سعد عن النبي .. صلى الله عليه وسلم .. أحـــاديث كثيرة ..

روى عنه ابن عُمَر ..

وابن عباس ..

وجابر بن سمرة ..

والسائب بن يزيد ..

وعائشة .

وبنوه ..

عـامر .. ومصعب .. ومحمد .. وإبراهيم .. وعائشة .. اولاد سعد !!

---

(١) الذرّة : النملة الحمراء الصغيرة .

وابن المسيب ..

وأبو عثمان النهدي ..

وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ..

وقيس بن أبي حازم ..

وغيرهم !

يحب الانصار ؟

عن عامر .. بن سعد بن أبي وقّاص ..

قال : قلت لأبي : يا أبه .. إني اراك تصنع بهـذا الحيّ من الأنصار شيئاً ، ما تصنعه بغيرهم !

« فقال : اي بنيّ ، هل تجد في نفسك من ذلك شيئاً ؟

« قال : لا .. ولكن اعجب من صنيعك !

« قال : إني سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول :

« لا يُحِبّهم إلا مؤمن .. ولا يُبْغِضُهم إلا منافق . » !!

كان سعد طويلاً .. ذا هامة ؟

وقال إسماعيل بن محمد بن سعد :

« كان سعد آدم طويلا .. افطس ..

وقيل : كان قصيراً دَحداحاً .. غليظـاً .. ذا هامة .. شثن الأصابع ..

قالته ابنته عـائشة .

آخر المهاجرين موتاً ؟

قال ابنه عامر :

« كان سعد آخر المهاجرين موتا [1] » !!

---

(١) مختصراً من « اسد الغابة في معرفة الصحابة »

مـاذا اريد ان اقول ؟

ما هي شخصية سعد بن أبي وقّاص ؟

ليس سهلاً ولا ميسوراً الإجابة على هذا السؤال ..

ولكن .. بسم الله اقول .

كان سعد رابع المسلمين سبقاً إلى الاسلام .

لم يسبقه إلا زيد بن حارثة .. وعليّ بن أبي طـــالب .. وأبو بكر !

فما معنى هذا ؟

معناه عظيم جسيم !

أنّ سعْداً أسلم .. حيث لا احد أسلم إلا هؤلاء الثلاثة ..

أي انه اوّل مَن أسلم ، باستثناء هؤلاء العظـماء ..

فما هو المؤشر الخطير ، الذي ناخذه من ذلك ؟

أنّ سعْداً ، اشجع النـــاس ..

لأنّ رُجلاً يُقدم على دين جديد ، لم يعتنقه أحد سواه ، معناه أنه سوف يقاوم الناس جميعـاً وحده !

وأنّ سعْداً ، يريد وجه الله ، لا يريد شيئاً سواه سبحانه ..

حيث دخل الاسلام ، ولا نصير للإسلام على وجه الأرض ..

فمعنى هذا ، ان إيمانه من مستوى رفيع جداً جداً ..

وأنّ سعداً كان صدّيقاً .. حيث صدّق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من أوّل لحظة !

وينبغي ان يكون معلوماً ، لو ان البشرية كلهـا كانت في كفّة ، ورُجلاً سبق إلى الاسلام في كفة .. لرجح ذلك السابق ، البشرية كلهـا !

تجد الاشارة إلى ذلك في حديث ، لو وُزِن إيمان أبي بكر .. وإيمان الأمة ، لرجح ابو بكر !

وإنّ سعداً لقريب من أبي بكر .. وإنّه ليـأتي بعده مباشرة ..

فهو الرابع ، وأبو بكر الأوّل ..

والنسبة على ذلك قريب !

ثم ماذا ؟

ثم ما دليل شجاعته ، من الأحداث التي خاضها ؟

الدلائل كثيرة ، ناخذ منها موقفه يوم أحُد !

حيث نال سعـد شرفاً :

ارْمِ سعد .. فداك أبي وأمّي !

وحيث رُوي :

رمى سعد يوم أحُد ألف سهم !!

وعند الشدائد ، وتحتم الموت ، تظهر حقائق الرجال ، ومعادن الأبطال !

ودليل آخر ، اوسع برهاناً ، واعرض تدليلاً !

حين جعل أمير المؤمنين يشاور .. مَن يولّيه على حرْب الفُرس ؟!

فقالوا له : سعد بن مالك ، الاسد عادياً ..

او : الاسد في براثنه !

فولاه عمر .. قيادة الجيوش الذاهبة إلى قتال الامبراطورية الأعظم آنذاك .. امبراطورية فارس !

هناك إذاً إجماع من الناس ، على أنّ سعْداً .. الأسدَ عادياً .. أي مهاجماً منقضاً على فريسته !

فهل اثبتت التجارب صحة رأي هؤلاء في سعد ، انه الأسد عادياً ؟

يجيب على ذلك ، ما كان من سعد في قيادة الجيوش ، في معركة القادسية العظمى !

ومعركة المدائن الكبرى ..

الأولى كسرت العامود الفقري من الامبراطورية العظمى ، فما قامت بعدها ابداً ..

والثانية فتحت إيوان كسرى للإسلام ، فما عاد كسرى اليه بعدها ابداً ..

مَن حقق هاتين العجيبتين ؟

إنه سعد .. الأسد في براثنه ..

ما كان سعد بدْعاً من اصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

فقد كانوا جميعاً أُسداً عاديات ..

ولكنّ سعداً كانت نسبة الشجاعة في شخصيته بارزة زائدة ..

او الصفة الغالبة من صفاته العُلْيا ، هي صفة الشجاعة الخارقة ..

وهو يُلْحق في هذا ، بشجاعة الصدّيق الأكبر .. عليّ بن

ابي طالب .. كرّم الله وجهه ..

ويلحقه في ذلك .. سيف الله المسلول ، خالد بن الوليد .. رضي الله عنـه ..

وانظر إلى هؤلاء الأربعة ..

سعد ، وخالد ، وأبي عبيدة ، وعمرو بن العاص !

تلمس عَجَباً !

سعد .. تولى معركة القادسية ، فحطّم امبراطورية الفرس !

وخالد .. تولى معركة الرِّدَّة .. فحطم جيوش المرتدين ، ومزّقهم شرّ ممزق !

ثم القاه ابو بكر إلى الروم ، وهو يقول :

« لأنسين الروم وساوس الشياطين بخالد بن الوليد » !

فالتقى بهم خـالد وهُم ۲٤٠،٠٠٠ ، فمزّقهم وشرّدهم وهو على رأس ٤٠،٠٠٠ !

فما قامت امبراطورية الروم بعدها ، إلا لتتعثر امـام ضربات أبي عبيدة بن الجرّاح !

وعمرو ، داهية العرب .

القاه عمر إلى الروم ، ففتح مصر ..

ثم التقى معهم في معركة الاسكندرية ، وقد حشدوا فيها مـــا حشدوا ، فمزقهم ، واستولى عليها ..

هؤلاء الأربعة تلألأوا في وقت واحـــد ، في بضع سنين ..

أتمّوا الفتوحات الكبرى شرقاً ، وغرباً !

هؤلاء الأُسد العادية ، كان أمر شجاعتهم عَجَباً ..

ولكنَّ سعداً ، اكثر إثارة للعجَب .

ذلك أنه سبق خالداً وعَمْراً إلى الاسلام ..

بل وسبق امين الأمة . أبي عبيدة ..

فأضيفت إلى سعد ، مكرمة السَّبْق ، إلى دين الله .

ثم ماذا ؟

ثم مسالة أنّ سعداً كان مستجاب الدعوة ..

« اللهم استجب لسعد إذا دعاك . » !!

مـــا هو المؤشر من شخصية سعد ، الذي نأخذه من ذاك ؟

المؤشر .. أنّ سعداً إذا قال :

« رَبِّ » ..

قـال الله له :

« **لبّيك عبدي** » !!

فما معـــنى ذلك ؟

معناه أنّ سعداً أمين ، يؤتمن على أسرار الله العُليـــا في خلْقــه ..

فهو لذلك لا يـدعو الله ، إلا لنُصرة حقٍّ ، او نُصرة مظـلوم ..

إنه يعلم أن الله لا يستجيب لدعاء فيه إثم ، أو قطيعـــة رحم ..

ولا يستجيب دعاءً فيه اعتداء ..

وإنما يستجيب للذين آمنوا ، إذا سألوه إحقـــاق الحقّ !

فإذا أعطاه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. ذلك الفضل ، أنه إذا دعا استُجيب له ..

إنما يُعطيه ما هو أهل له ، وما هو جدير ان يحفظ امـانته ، ويرعى حُرمته .

وهذا فضل ، واللهِ عظيم ..

ثم ماذا من شخصية سعد ؟

ثمّ اللؤلؤة العظمى ، ذات البريق الألمع ، في تاج سعد بن أبي وقاص .

هي شهادة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ..

أنّ سعداً في الجنّة .

« وسَعْدٌ في الجنّةِ .. » !!

في عداد عشرة ، هم السادة الأكابر العشرة .

ما معنى هذا ؟

معناه كبير ، قليل النظير ..

إذا بشّر الصادق المصدوق ، صلى الله عليه وسلم .. سعداً بالجنـــة

ُعلِمَ هنالك أنّ هذا المبشّر بالجنة ، سوف يسلك في حياته السلوك الذي يؤدي به إلى الجنة .

فإذا ُعلِم أنّ سعداً سوف يكون إن شاء الله ، في سادات اهل الجنة .. اي في أعلى درجـــاتها ، درجات السابقين الأوّلين من المهـاجرين ..

عُلِمَ حتماً أنَّ حياته في الدنيا ، سوف تكون على أعلى مراتب الفضائل والمكارم والأخلاق .

لتتوازى أعماله في دُنياه .. مع مـا أُعِدَّ له في أخراه ..

فهل كان سعد هكذا في حياته الدنيا ؟

اللهمَّ .. نعم ..

أنظر تسلسل حياته ، من اولها إلى آخرها .

تجدهـا سلسلة متلاحقة من الفضائل والمكارم ..

كانت قبل إسلامه يعمل في النَّبْل وصناعته ، وهذه صنـاعة الأبطـال ..

ثم دخل الاسلام وسنّه سبعة عشر ..

أي غلام شاب ، وهذه اعظم مراحـل العمر استعداداً لكل جـديد ..

ثم هاجر مع المهاجرين ..

فذهب يحرس رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ، من الأعداء ، وسُمِعَ صوت سلاحه ، وهذه مكرمة أبطال .

ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ، وناهيك ببطولته يوم أُحُد .. وهذه مكارم شجعان ..

ثم اختاره الفاروق قائداً عاماً لمعركة القـــادسية ، فتلألأت عبقريته فيها اشد التلألؤ ، وهذه مناقب ابطال ..

ثم عينه عمر والياً على الكوفة .

قائداً عاماً لاكثر من مائة الف مقـــاتل .. فساسهم بالعدل ، وقادهم في توثب الاسد ، وهذه صفات عليا لا تكون إلا من أكابر العارفين ..

ثم كان مصرع عمر ..

فاختاره احد ستة في الشورى ..

وقـال :

« إن ولي سعد الامارة فذاك » !

اي نعم امير المؤمنين هو .. إذا اخترتموه اميراً للمومنين !

وهذه وحدها تـذهب بعيداً بسعدٍ إلى أعلى أعـــالي المجد والشرف والصفات العليا ..

فما كان عمر ، ليقرّ اختيار سعدٍ أميراً للمومنين ، إلا أنـه يراه اهلاً لذاكا ..

وقد سجّلها الفاروق له فقال :

« وإلا فاوصى الخليفة بعدي ان يستعمله .. فاني لم أعزله من عجز ولا خيانة . » !!

ثم كانت الفتنة الكبرى ..

فاعتزلها ، ونأى عنها بعيداً ..

وتقوقع في عرينه ، وكان اهلاً ان يتولى ، وتلك صفة اخرى عـــالية ..

حياته إذًا سلسلة من سلاسل النور ، تتتـــابع في سناء وبهـــاء ..

فإذا بشّره ، صلى الله عليه وسلم ، بالجنّة .

أعلى درجات الجنة ..

جاءت حياته مطابقة لما بُشر به ، ومُصَدِّقة ..

ثم ماذا ؟

ثم هذا الأثر العجيب الذي يقول :

« سال عمر بن الخطاب ..

عمرو بن معدِ يكرب ..

عن خبر سعد بن ابي وقاص ..

«فقال :

متواضع في خبائه !

هذه صفة من صفات سعد العليا ..

التواضع ؟

رغم أنه في أعلى منصب عسكري ، قائد عام القوات الإسلامية المسلحة ، في الجبهة الشرقية ..

واي قائد ؟

القائد المنتصر على الاطلاق .

المحطِّم لنحو مائتي الف مقاتل من الفرس ، باربعين الف مقاتل من المسلمين ..

قائد اتخذ إيوان كسرى مُصلى ..

هذا الذي هذه بعض فتوحاته ، متواضع أشد التواضع ، في خبائه البسيط !!

وتلك اخلاق اصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

وكانت في سعد بارزة .

ثم ماذا قال عمرو عنه ؟

عربي في نمرته ؟

كان سعد رغم ارتفاع اوضاعه ، عربياً بسيطاً في نمرته .. في عباءته ..

وصفة عدم التكلف ، صفة من صفات المؤمنين ، لا يأبهون بالمنظر ، وإنما يتطهرون باطناً ..

ثم قال عمرو :

اسدٌ في تاموره !

وهذه اشهر وابرز صفات سعد ..

اَسد في عرينه ..

واي أَسد ..

الأسد في براثنه . او الأَسد عادياً ..

فشخصيته فيها اقصى القوة ، قوة الاسد .

ولكن في عرينه، لا يعتدي ولا يظلم ..

فاذا دعا الداعي ، كان الأسد عادياً ، مهاجماً ..

ثم يقول عمرو :

يعدل في القضية !

صفة العدل ، كانت بارزة في شخصية سعد ..

اقصى العدل ، إذا حكم في قضية مـا ..

وحسبك ُحكمه على نفسه في قضية الفتنة الكبرى ..

َحكم عليها ان تلتزل الحيـــاد ..

وأن تعتزم المناصب ..

وألا تشارك مع احـــد الفريقين ..

وهذا اعـــدل ُحكم صدر عن شخصية سعد ، على شخصية سعـد ..

وإن اعدل العَدْل ان ُتلزمَ نفسَك العَدْل ..

ثم يقول عمرو :

ويَقسِم بالسويّة !

لا التفات منه إلى عَرَض الدنيا ..

وإنما يقسم بينهم بالتساوي ..

بميزان العدل ، كما أمره الله تعالى ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ..

وحسبك شهادة عمر ، حين ارسل اليه الأخماس بالمدينة بعد القادسية .

« إنّ قوماً أدّوا هذا لذوو امانة » !!

ثم يقول عمرو :

وُيبعد في السرية !

صفة عُليا من صفات سعد ..

يُبعد في السرية ؟

يتوسع في الغزو والفتوحات ، لا يخشى عدواً ، ولا يهاب الجيوش ..

وإنما يلجأ إلى تشتيت قوات الاعداء بعيداً ، بالاغارة عليها ، من كل مكان ، فلا يكاد يلتئم لها شَمْل !

وهذه براعة وعبقرية في قيادة الجيوش من سعد !

ثم يقول عمرو :

ويعطف علينا عطف الأم البرَّة !

من أين لسعد اقتباس تلك الصفة العليا ؟

مما رأى من صنيع رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. بأصحابه !

كان يراه صلى الله عليه وسلم .. أرحم بأصحابه من الأُمّ بولدها !

فتأسى ذلك الخُلق الجميل ، وصار له خُلقاً مع جنوده وقادة جيوشه !

ثمّ اي نبعٍ كان يُسقى منه ابو اسحاق ؟

إنه نبع قوله تعالى :

﴿ والذينَ مَعَهُ ..

أشدّاءُ على الكُفّار ..

رُحمَاءُ بَينَهُمْ .. ﴾[1] !!

---

(١) سورة الفتح آية ٢٩ .

ذلك هو السلسبيل .. الذي كانت تترقرق منه اخـــلاق سعد أبداً !

ثم يقول عمرو :

وينقل الينا حقنا نقل الذّرّة !

اقصى درجات الحساسية والشعور بالمسئوليـــة !

إنه يسارع إلى نقل الحقوق إلى اهلهـا ..

لا ينتظر أن ياتوه ليـاخذوا حقوقهم !

ولكن هو يسعى اليهم بهـا ..

كما تسعى النملة في دأب إلى جُحرها تحمل حِملها !

ثم ماذا ؟

هذه صفات سجلها له عمرو .. فهل من صفات عُليـــا غـيرهـا ؟

يمكن أن يُقال :

جمعَ سعدٌ أعلى صفات أصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

وبلغ من كمالاتها اقصاها !

ومن فضائلها اعلاها !

وزهد في الدنيا رغم أنها جاءته في أعلى مستواها !

★

قـــال ابن الاثير :

« ولما استقرّ الأمر لمعـاوية ..

« دخل عليه سعد بن ابي وقاص ، فقال :

« السلام عليك ، ايها الملك !

« فضحك معاوية ، وقال :

« ما كان عليك يا ابا اسحاق .. لو قلتَ : يا امير المؤمنين !.

« فقال :

« اتقولها جذلان ضاحكاً !

« واللهِ .. ما أحبّ أني وليتُها .. بما وليتّها به » !!

— تم —

فهرس

صفحة

صفحة

ماذا في هذا الكتاب ؟!

فيه بدائع مَن قال له رسول الله .. صلى الله عليه وسلم :

« ارمِ سعد .. فِداكَ أبي وأمّي » !!

ودعا له .. صلى الله عليه وسلم :

« اللهمّ استَجِبْ لسَعْدٍ إذا دَعاكَ » !

وقال له النبي .. صلى الله عليه وسلم :

« لعَلّ اللهَ أنْ يرْفَعَكَ .. ويَنفعَ بكَ ناساً » !!

وقال عنه الصحابة .. في حضرة أمير المؤمنين .. عمر بن الخطّاب :

« الأسَد في براثنه .. سعد بن مالك » !!

فيه « حياة سعد بن أبي وقّاص » !!

Thanks to
assayyad@maktoob.com

To: www.al-mostafa.com